الإنسان والبيئة في الوطن العربي

في ضوء الاكتشافات الأثاريـة

المحررون

أ. د. عبدالرحمن الطيب الأنصاري

د. خليل بن إبراهيم المعيقل

د. عبدالله بن محمد الشارخ

ساعد في التحرير

أ. محمد صوانه

أبحاث ندوة: الإنسان والبيئة في الوطن العربي في ضوء الاكتشافات الأثاريـة

الجوف – المملكة العربية السعودية / ٢٠-٢٢ جمادى الأولى ١٤٣١هـ (٤-٦ مايو ٢٠١٠م)

مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية

الإنسان والبيئة في الوطن العربي في ضوء الاكتشافات الأثارية

Man and Environment in the Arab World in Light of Archaeological Discoveries

2013

Man and Environment in the Arab World

in Light of Archaeological Discoveries

Editors

Prof. A. R. Al-Ansary

Dr. Khaleel I. Al-Muaikel

Dr. Abdullah M. Alsharekh

Co - Editor

Mohammad Suwanah

Proceedings of the Symposiaum: Man and Environment in the Arab World

in Light of Archaeological Discoveries

4-6 May 2010 (20-22 Jumada 1 1431H) Al-Jouf - Kingdom of Saudi Arabia

ABDUL RAHMAN AL-SUDAIRY FOUNDATION

المحتويـــات

أولاً: القسم العربي

• البيئة في المغرب خلال البليوسين والبلايستوسين.	أ.د. مصطفى أعشي	٧
• التفاعل المتبادل بين الإنسان والبيئة في الفترة النيوليتية شمالي سوريا (تل القرامل نموذجا).	د. يوسف كنجو	٢١
• بيئات عصر الهولوسين والتغير الثقافي في نهر النيل الأوسط – السودان ١٠٠٠٠ – ٣٠٠٠ ق.م.	د. أزهري مصطفى صادق	٢٩
• التقلبات البيئية واثرها على الحياة اليومية في بلاد الرافدين في ضوء النصوص المسمارية.	أ.د. ليث مجيد حسين	٥١
• أثر البيئة في تقنية العصر الحجري: أدلة حجارة شرك الصيد من الألف السابع قبل الميلاد في عُمان.	أ.د. علي التجاني الماحي	٦٣
• هل كان وادي القعب بحيرة قديمة متصلة بالنيلِ؟	د. يحيى فضل طاهر	٧٩
• الأثر البيئي في غياب العصر الحجري الوسيط التقليدي وإشكالية الانتقال إلى العصر الحجري الحديث في الجزيرة العربية.	د. عبدالرزاق المَعْمَري	٨٧
• تأثير البيئة على العمارة المنزلية في العصر الحجري الحديث ما قبل الفخار في الأردن: مثال من موقع عين غزال.	أ.د. زيدان عبدالكافي كفافي	١١٩
• التكيف الاستقراري وتحولات البيئة نموذج من مجتمعات عصر ما بعد مروي في منطقة الشلال الرابع (السودان).	د. جمال جعفر عباس الحسن	١٢٩
• الحتمية البيئية وجدلية التحوّل الحضاري: حالة السودان.	أ.د. عباس سيد أحمد محمد علي	١٤١
• نتائج مسوحات وحفريات أرض الصوان البداوة خلال نهاية العصر الحجري الحديث وبداية العصر الحجري النحاسي.	د. محمد بركات الطراونه	١٥١
• الظروف البيئية في شمال غربي المملكة العربية السعودية خلال العصر الحجري الحديث: موقع العيينة أنموذجاً.	أ. خالد بن فايز الأسمري	١٥٩
• الإنسان والبيئة النهرية وأثرهما في نشوء الحضارة العراقية القديمة.	أ.د. غسان طه ياسين	١٦٧
• الخصوصية الثقافية للميناء الساحلي- ميناء سواكن السودانية نموذجاً.	د. أحمد حسين عبدالرحمن وأ. حسني طه العطا	١٨١
• الإنسان والبيئة الجبلية في ضوء التنقيبات الأثرية في تل الحصن- إربد.	أ.د. زيدون المحيسن	١٨٩
• هندسة الري ودورها في نشأة الدولة في جنوب غربي الجزيرة العربية وتطورها.	أ.د. محمد حسين المرقطن	١٩٩

● فاو جبل طويق أغرى الإنسان بالاستقرار.	أ. د. عبدالرحمن الطيب الأنصاري وأ. د. سالم بن أحمد بن طيران	٢٤٣
● الإنسان والبيئة في الحرّة العربية من خلال الرسوم والكتابات المختلفة (مقتطفات من الحرّة في الاردن).	د. محمود محمد الروسان	٢٤٩
● البيئة الصحراوية وأثرها على اللهجات لهجة النقوش العربية «الصفوية» ولهجة أهل البادية الأردنية «دراسة مقارنة».	د. زياد طلافحة	٢٦١
● أثر بيئة البادية على الاستيطان الصفوي.	د. يونس محمد الشديفات	٢٧٥
● الاستقرار النبطي في الجزء الشرقي من وادي عربة.	د. زياد السلامين	٢٨٥

ثانياً: القسم الإنجليزي

● تصور مظاهر رياح العصر الجيولوجي الحديث في الجزيرة العربية: وتأثيرها على الإنسان الأول.	ر. نيل مونرو، هيلين ويلنغجتون، ستيفن فرانكس، توني ولنجسون، ديفيد ساندرسون	٧
● التسلسل المستمر والكامل لآثار العصر الجيولوحي الرابع في شرق المغرب.	أ. د. اوراغ حسن، روبير صالا، حميد حدومي، جوردي أوعستي، ليتيسيا منندس، كمال الحموتي، عبدالرحمن الحرادجي	٤٧
● التغير البيئي في العصر الجيولوجي الرابع الحديث والتسلسل الجيولوجي في تيماء، شمال غرب المملكة العربية السعودية: حالة البحث الراهنة.	د. هلموت بروكنر، ماكس إنجل، نيكول كلاسين، أندرسون جينو، آنا بينتل، بيتر فرانزل، أ. د. ريكاردو إيخمان، آرنولف هوزلتر، محمد النجم، أ. د. سعيد السعيد	٥٣
● بيئة ظفار الحميرية الجبلية: الحتمية الجغرافية الجديدة.	أ. د. بول يول، مانفرد روش، إليسكه فيشر	٥٩
● الخرز الحجري والصدفي من مخلفات الاستيطان الغذائية لموقع HR-5 (مسقط، سلطنة عُمان).	أليساندرا بيسان، أ. د. باولو بياجي، جيورجو قاسباروتو	٧٣
● الماء في مملكة الأنباط وتدمر: من الحقائق اليومية إلى الخيال.	أ. د. جون هيلي	٨٥

هندسة الري ودورها في نشأة الدولة في جنوب غربي الجزيرة العربية وتطورها

محمد حسين المرقطن

ملخص: يتفق الكثير من العلماء على أن الممالك العربية الجنوبية ظهرت في الوديان الواقعة على أطراف صحراء صيهد، وهي المدينة – الدولة نجران في وادي نجران، ممالك وادي الجوف وهي مملكة كمناهو، مملكة هرَم، ومملكة نَشّان، ومملكة معين، مملكة سبأ في وادي رغوان ووادي الجوبة ومركزها مأرب، مملكة قتبان ومركزها تمنع في وادي بيحان، ومملكة أوسان في وادي مرخة، ومملكة حضرموت في وادي حضرموت.. الخ. وكان لتطور تجارة القوافل الدولية الأثر البارز في ظهور ما يعرف بمدن القوافل في وسط وشمالي الجزيرة، وتطورها، وكذلك ممالك القوافل مثل مملكة كندة. ولعل التطورات الاقتصادية والاجتماعية التي رافقت اكتشاف حركة الرياح الموسمية والتي أدت إلى تحولات في استخدام الطرق التجارية البرية لحساب الطرق البحرية قد ساعدت في ظهور الدولة الحميرية (سبأ وذي ريدان) في الهضبة اليمنية. ورغم أن الغموض ما يزال ينتاب ظهور هذه الممالك إلاّ أن الدراسات الأثرية الحديثة ألقت الضوء على الظروف المناخية والبيئية في عصر الهلوسين وكذلك التطور الحضاري في جنوب غربي الجزيرة ابتداء من العصر الحجري القديم مرورا بالعصر الحجري المتوسط والحديث وكذلك العصرالحجري المعدني والعصور البرونزية. لقد أظهرت الاكتشافات الحديثة في اليمن ظهور الزراعة في الألف الرابع والثالث ق. م. وقد ازدادت ممارستها في الألف الثاني ق. م.، وقد أدى ذلك إلى ظهور ثقافات زراعية ومستقرات بشرية كبيرة أو مدن مثل صبر وحضور همدان ومواقع أخرى مختلفة في خولان. ولكن السؤال الذي يطرح نفسة، لماذا تغير الوضع في نهاية الألف الثاني ق. م. وانتقل الثقل الحضاري إلى الوديان المحاذية لصحراء صيهد؟ وهل رافق ذلك تحركات بشرية؟ ومن أين جاءت مهارة بناء السدود والمعابد الضخمة؟ هل أحضرها السبئيون معهم من الشمال، أم هي تطورات وتقنيات محلية؟ يهدف البحث إلى دراسة تعامل الإنسان مع بيئته وتحكمه في موارده الطبيعية، وبخاصة سيطرة الإنسان على المصادر المائية، وما كان له من أثر في الاستقرار والتمدن ومن ثم نشأة الدولة وتطورها. ويعتمد البحث على الشواهد الأثرية والنقشية ونتائج الاكتشافات الحديثة للبعثات الأثرية الأوروبية العاملة في اليمن.

Abstract. *Southwest Arabia witnessed several states such as Saba', Qataban, Ma'īn, Ḥaḍramawt and Ḥimyar from the beginning of the first mellinium BCE and continued until the dawn of Islam. This paper provides a brief study of irrigation systems in pre-Islamic south Arabia, particularly the kingdom of Saba', and outlines the irrigated agriculture and its role in the transformation of the Sabaean society and the emergence of the state. The paper covers several topics; it sketches the definition of the state and theories on the early state, discusses the cultural evolution in southwest Arabia, touches on the emergence of a social complexity of the south Arabian society as well as the urban centers. It further presents the formation and idea of the state in southwest Arabia; the State of Saba' is treated as a case study. Special attention is paid to the organs and institutions of the state such as socio-economy, religion, politics and judicial systems as well as the role of military and the rise and decline of south Arabian states.*

ازدادت معرفتنا للتطورات التاريخية في جنوب غربي الجزيرة العربية في العقود الثلاثة الأخيرة، بفضل الجهود التي قامت بها بعثات أثرية مختلفة، منذ منتصف السبعينيات من القرن الماضي، فأصبح بإمكاننا رسم صورة للتطور الحضاري في هذه المنطقة، وإن انتابته بعض الثغرات.

يهدف هذا البحث إلى دراسة مسألة تعامل الإنسان مع بيئته، وتحكّمه في موارده الطبيعية، وبخاصة سيطرة الإنسان على المصادر والأنظمة المائية التي قام بإنشائها،

وما كان لذلك من أثر في الاستقرار البشري والتطور الإجتماعي والتمدن، ومن ثم نشأة الدولة وتطورها مع الإشارة إلى مؤسساتها. ويعتمد هذا المدخل لدراسة الدولة في الدرجة الأولى على الشواهد الأثرية والنقوش، وبخاصة نتائج الاكتشافات الحديثة للبعثات الأثرية الألمانية والأمريكية والفرنسية والكندية والإيطالية والروسية، العاملة في اليمن، وكذلك نشاطات الهيئة العامة للآثار في اليمن، والجامعات اليمنية.

أولا: مقدمات نظرية في فهم مصطلح الدولة

يفسر الباحثون مصطلح دولة، بناء على الفعل الثلاثي دَوَلَ، بمعنى «التبديل والتغيير». ويرد مصطلح «دولة» مرة واحدة في النقوش السبئية بمعنى «دولة، مملكة» (د ول ت/ ف ي ش ن، المعجم السبئي، ٣٦)، والمقصود هنا «منطقة سيطرة قبلية» تابعة لشعب فيشان. ويتخذ الفعل «دول» في حضارات الجنوب معنى إداريا؛ ومن هنا، قد يعود أصل مصطلح «دولة» في اللغة العربية إلى الكلمة الحميرية «دائل» الواردة في المصادر العربية، وهو «مُقرّر الري» (Al-Selwi 1987: 90). ولعل الإشارات الواردة عند الحسن الهمداني عن نظام الحكم في اليمن والأسر الحاكمة أو ما يسمى بالمثامنة فيه الكثير من الفائدة في فهم طبيعة السلطة السياسية في اليمن قبل الإسلام (بافقيه ١٩٨٧: ١١٩-١٣٢).

لا يتفق العلماء على مصطلح موحّد لتعريف الدولة، ولكنهم يتفقون على سمات معينة تحدد مفهوم الدولة على أنها مجتمع منظم إقليميا، ذو سيادة على أرض معينة، وله مؤسسات سياسية وتشريعية وسلطة مركزية تتحكم بفائض الإنتاج، وكذلك له سلطة عسكرية شرعية. لقد لاقت مسألة دراسة الدولة اهتماما كبيرا من قبل الفلاسفة وعلماء التاريخ والاجتماع والأنثروبولوجيا والآثار، وهناك دراسات مختلفة عن نشأة الدولة وتطورها وأفولها في الشرق القديم، وبخاصة في بلاد ما بين النهرين (Diakonoff 1991; Maisels 1990; Breuer 1990: 172-94; Klengel 1988: 319-327) ومصر (Endesfelder 1988: 372-77) وبلاد الشام (Buccelati 1967, Joffe 2002: 425-467, Master 2001: 117-131). وفي هذا السياق، لا يجوز إغفال مقدمة ابن خلدون ومسألة العمران البشري في محاولة فهم نشأة الدولة وتطورها. ومن المعروف أن الدولة قد نشأت في بلاد ما بين النهرين ومصر في بداية الألف الثالث ق. م. ثم ظهرت في باقي أنحاء الشرق القديم .Diakonoff 1991a: 67-83 (كفافي) 2005: 249-290 .

وعلى الرغم من وجود بعض الدراسات المهمة عن هذا الموضوع، وبخاصة عن الملكية في سبأ (Lundin 1973: 26-28; Beeston 1972: 256-268)، إلاّ أنّ مسألة دراسة نشأة الدولة في جنوبي الجزيرة قد بقيت بشكل عام بعيدة عن اهتمام الباحثين (انظر الدراسة الأولية التي قام بها كاتب هذا المقال، Maraqten 2000a: 196-211). ولا يهدف هذا البحث إلى دراسة النظريات المختلفة عن نشأة الدولة وتطورها والتي تمّ مناقشتها من قبل العديد من الباحثين، بل يهدف هنا فقط إلى الإشارة إلى هذه النظريات، ولعل التفصيل في ذلك يخرجنا عن نطاق هذا البحث (Wittfogel 1957, Eisenstadt et al. 1988, Service 1975, Claessen and Skalnik 1981, Claessen and Skalnik 1978, Sellnow 1988: 94-103,Yofee and Cowgill 1991)، ومن هذه النظريات:

نظرية أثر البيئة على الإنسان (ecological approach) والتي يجد أصحابها بأن توافر الظروف البيئية المناسبة (Carneiro 1970, Flannery 1972: 399-426) تشكل العامل الأساس في استقرار المجموعات البشرية، وتؤثر على زيادة عدد السكان، ومن ثم تؤدي إلى ظهور الدولة بسبب الضغط السكاني، وهذا بدوره يؤدي إلى ظهور الدولة في سياق بيئي يتطلب «الضرورة الإدارية» (managerial necessity) أو تلبية حاجات المجتمع، وتهتم هذه النظرية أيضا بفائض الإنتاج (Stein and Rothman 1994).

نظرية الصراع الطبقي والحتمية التاريخية (إنجلس ١٨٨٤، دياكونوف ١٩٧٦: ٢٦٣-٣١٠، Diakonoff 1991)، وتعتمد هذه النظرية على أن القاعدة الاقتصادية للمجتمع تفرز البنية الفوقية له، في حين أن القاعدة الاقتصادية تشكل البنية التحتية. ويتسم ذلك بتطور قوى وأدوات الإنتاج، وبظهور الحرف والطبقات الاجتماعية المختلفة والتي ترتبط بالملِكية الخاصة والتمايز الطبقي، ومن ثم تؤدي إلى حتمية ظهور الدولة.

نظرية التطور الحضاري التي تجد أن الدولة هي نتاج لتطورات وتراكمات معرفية تؤدي إلى ظهور الدولة لإدارة المجتمع (Service 1975).

النظرية الهيدرولوكية أو نظرية الإعتماد على الري، وأطلق صاحبها على الحضارات المرتبطة بالري مصطلح «حضارات الري» أو «الاستبداية الشرقية». صاحب هذه النظرية هو العالم الألماني فيتفوغل (Wittfogel 1957) والتي وضعها في كتابه «الاستبدادية الشرقية» (Oriental Dispotism) في العام ١٩٥٧. ويعتقد فيتفوغل أن الدولة ظهرت في البداية فيما يسمى «مجتمعات الري» أو «حضارات الري»، وهي التي تقوم على الزراعة التي تعتمد على منشئات الري الضخمة بشكل واسع أو على التحكم بالسيول والفيضانات، ويعتقد فيتفوغل أنه لا بد من وجود أنظمة ري مركزية لكي تنشأ الدولة، وهي التنظيم الذي يتحمل إدراة هذه الأنظمة المائية، وأن ظهور أنظمة الحكم الفردية الاستبدادية في الشرق قد نشات في الأساس في مجتمعات اعتمدت على الري الاصطناعي في الأحواض النهرية في بلاد ما بين النهرين ومصر وحوض السند في شبه الجزيرة الهندية والنهر الأصفر في الصين، وكذلك حضارات المكسيك والبيرو. وقد طورت هذه المجتمعات أنظمة خاصة للتحكم في مياه الفيضان والري، أهم ما يميزها هو نظام السلطة المركزية والتي تزداد قوتها مع ازدياد مساحة الأراضي المروية، ما يخلق بدوره نظاما بيروقراطيا استبداديا للتحكم بالأرض والناس.

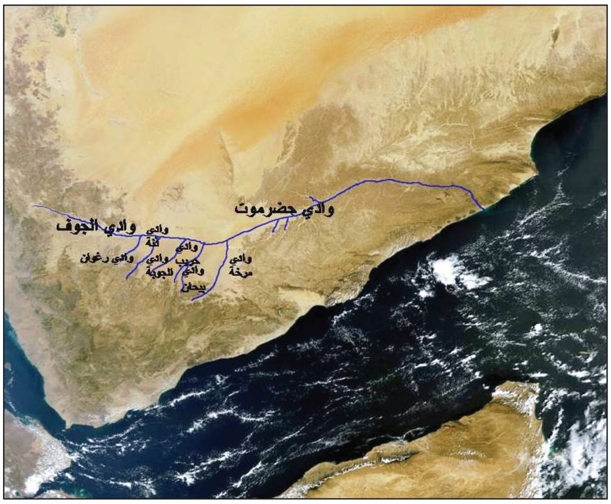
ثانيا: حول مسألة التطور الحضاري في جنوب غربي الجزيرة

تجدر الإشارة إلى التكوين الطوبوغرافي لمنطقة جنوب غربي الجزيرة العربية، حيث تتشكل التضاريس الطبيعية فيها من السهل الساحلي أو تهامة، وساحل بحر العرب والهضبة اليمنية، وما فيها من قيعان مثل قاع صنعاء وقاع البون... الخ، وواحات الوديان، الواقعة على أطراف رملة السبعتين (صيهد)، ثم الصحراء، وما يرتبط بذلك من موارد طبيعية (Brunner 1997a: 190-202) وقد تركزت الحياة البشرية في العصور التاريخية في الساحل والقيعان والوديان. وبالرغم من وجود ثغرات في معرفتنا للسياق التاريخي لجنوب غربي الجزيرة، إلا أننا نستطيع الآن رسم صورة عامة للتطور الحضري في هذه المنطقة يمكن تليخصها كالآتي:

عصور ما قبل التاريخ: لعل الطبيعة الجغرافية قد كان لها الأثر الأساس في التطورات الحضارية في جنوب غربي الجزيرة. وحتى ثلاثة عقود خلت، لم تكن الصورة واضحة عن عصور ما قبل التاريخ في جنوب غربي الجزيرة، بسبب عدم توافر البحث الأثري. ولكن الصورة أصبحت الآن واضحة بعض الشيء، وقد أثبتت التحريات الأثرية في هذه المنطقة على وجود حياة بشرية منذ نحو ٧٠٠,٠٠٠ سنة على أقل تقدير، ووجدت أدوات حجرية لما يسمى «إنسان ألدفاي» في وادي حضرموت، إضافة إلى أدوات حجرية من فترات مختلفة من هذا العصر في مواقع شتى مثل قاع جهران شرق المعبر جنوب صنعاء. ويبدو أن حياة الإنسان قد اعتمدت بالدرجة الاولى في العصر الحجري القديم على جمع الأغذية والصيد، ومن ثم فإن سيطرة الإنسان على بيئته قد كانت محدودة جدا (إينيزان ١٩٩٩: ٢٢-٢٥).

ومن المعروف أن اكتشاف الزراعة قد ظهر في منطقة الهلال الخصيب وما يعرف بالحضارة النطوفية في بلاد الشام (كفافي ٢٠٠٥: ١٢٦-١٦٥، Bar-Yosef 1998: 159-177) في نحو ١٠,٠٠٠ ق.م. وقد تبع ذلك ما يسمى بالثورة الزراعية أو بالثورة النيوليثيكية (الألف ٨-٤ ق. م.). وهنا فقد ازدادت سيطرة الإنسان على بيئته في العصر الحجري الحديث، وهذا يتمثل في الزراعة وتدجين الحيوان ومن ثم تدريجيا السكن في مستقرات دائمة (كفافي ٢٠٠٥: ١٧٧-٢٢٠, Kuijt 2002). وتجدر الإشارة إلى الرسومات الصخرية من العصر الحجري الحديث التي عثر عليها في صعدة (Garcia and Rachad 1997). ويضع الباحثون في دراسات الجزيرة فرضية بدايات الزراعة في وسط الألف الخامس ق. م. والتي بحكم ظهورها في وقت مبكر في الهلال الخصيب تكون قد جاءت من الشمال، ولا نعرف كيف ومتى على وجه الدقة كان ذلك؟ ولكن هذه الفرضية قد تتغير بواسطة البحث الأثري المستقبلي. وإلى هذا العصر تعود الأصول الأولى لتطوير اللغة وما يسمى باللغة السامية الأم، والجذور السامية المشتركة مثل الجذر (حرث)، والذي رافق بداية ممارسة الزراعة، ولا حاجة لهذا الفعل طالما أن الإنسان لم يقم بحراثة الارض.

ولعل الظروف المناخية الرطبة في الشرق القديم بشكل عام، والجزيرة العربية بشكل خاص، قد أصبحت مناسبة لحياة الإنسان في الفترة ما بين الألف السابع والألف الرابع ق. م. ففي دراسة ميدانية لفريق فرنسي



الشكل ١: خريطة تظهر الانهار التي كانت في العصر الحجري الحديث

في نهاية الثمانينيات وبداية التسعينيات من القرن الماضي لأحواض الأنهار القديمة في اليمن، كشف هذا الفريق عن وجود نظام للأنهار مع نهر رئيسي، ابتداء من وادي الجوف ويسير إلى وادي حضرموت ووادي مسيلة، ويصب في بحر العرب، وكان يصب في هذا النهر الرئيسي أنهار فرعية منها وادي ذنة ووادي حريب ووادي مرخة وغيرها (الشكل ١). وكشف هذا الفريق أيضا عن عدد من المواقع الأثرية من العصر الحجري الحديث والعصور البرونزية في منطقة هذه الوديان، مما له دلالة مهمة في المرحلة السابقة لظهور الممالك العربية الجنوبية. إضافة إلى أنه تم تحديد بقايا بحيرات في منطقة صرواح من عصر الهولوسين (Weiss and Brunner 2008: 262-264). إذاً، هذه الوديان الجافة، والتي أصبحت لاحقا تتحول إلى سيول جارفة بعد تساقط المطر في الجبال، كانت أنهارا في العصر الحجري الحديث.

والجدير بالذكر أنه قد عُثر على مواقع من هذا العصر في مناطق مختلفة في اليمن، وكذلك على كثير من الرسومات الصخرية والمقابر والأنصاب الحجرية (المغاليثك). ويعود الفضل في اكتشاف أثار هذا العصر إلى البعثة الإيطالية ورئيسها اليسندرو ديمغريه (De Maigret 2002: 117-130) وكذلك البعثة الروسية-اليمنية في حضرموت. وتجدر الإشارة إلى نتائج التحريات الأثرية للبعثة الأمريكية في وادي سنا في حضرموت، والتي ركزت على مسألة دراسة البيئة والزراعة في عصور ما قبل التاريخ (McCorriston et al. 2002: 61-88). وأهم ما يميز العصر الحجري الحديث في جنوبي الجزيرة هي مسألة انتقال الإنسان من جامع للأغذية إلى منتج لها، والتي تتمثل في ممارسة الزراعة، والتي رافقها تربية الحيوان، والتي تدشّنت في الألف الخامس-الألف الرابع ق. م. في زمن كانت فيه الأحوال المناخية رطبة.

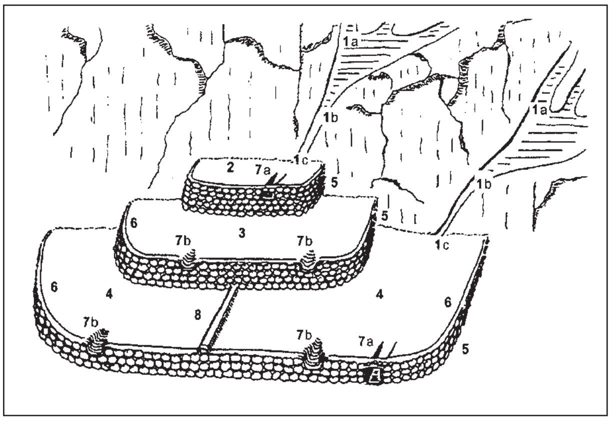
في نهاية الألف الرابع ق. م. حصل تغير بيئي في هذه المنطقة، فالبيئة الرطبة التي كانت في العصر النيوليثكي وامتدت لفترة طويلة أصبحت الآن أكثر جفافا وتغير الغطاء النباتي (Fedele 1990: 31-42, Davies 2006: 454-464, Wilkinson 1997: 833 - 864). ولذا انحسر الاستقرار البشري إلى مناطق محدودة، ويبدو أن مناطق الاستقرار البشري الرئيسية قد بدأت تتركز بالدرجة الأولى في القيعان، ولكن الزراعة التي تعتمد على المطر بقيت هي الأساس كما يظهر من المدراجات الزراعية من هذه الفترة. ولعل الاعتماد على تربية الماشية قد استمر كرافد أساس لحياة الناس.

العصور البرونزية: أهم ما يميز هذه العصور هو الإستخدام الواسع للزراعة، فقد أصبحت النمط المسيطر كنمط إنتاجي في الألف الثالث ق.م. وقد ازدادت ممارستها في الألف الثاني ق.م. وقد أدى ذلك إلى ظهور ثقافات زراعية ومستقرات بشرية كبيرة أو مدن، مثل صبر في لحج، وموقع حضور همدان شمال صنعاء، ومواقع أخرى مختلفة في خولان (de Maigret 2002: 134-159). وقد زودتنا التحريات الأثرية الحديثة بمعلومات مهمة عن الزراعة في الألف الثالث والثاني ق. م. من مناطق مختلفة في اليمن خاصة حضرموت (Sedov 1996: 67-86, McCorriston 2003: 19-25) والهضبة اليمنية، خاصة مناطق خولان وذمار حيث عُثر على مستحثات نباتية تعطينا صورة عن استخدام المحاصيل الزراعية مثل القمح والشعير والدخن (Edens 2005: 185-211, Franke et al. 2006: 208-245, Lewis 2005).

وفي العصر البرونزي المبكر (الألف الثالث ق. م.) ازداد استخدام المدرجات الزراعية في المرتفعات الجبلية التي تعتمد على المطر، والتي قد بدأ العمل بها على ما يبدو قبل هذا التاريخ (الشكل ٢)، وفي المناطق السهلية والقيعان بدأت الزراعة المروية التي تعتمد على الغيل والتحكم بمياه السيل بالظهور، كما هو الحال في معيلبة في منطقة لحج

(Vogt et al. 2002: 174-186)، وقد اكتشفت حديثا آثار هذا العصر في مواقع مختلفة منها مواقع على أطراف رملة السبعتين (Guy et al. 2001: 21-44). وتأسست أنظمة الري في الواحات الواقعة على أطراف الرملة (صيهد). وازدادت تربية الحيوانات في المناطق الجبلية والتي على ما يبدو قد أثرت سلبا على الغطاء النباتي، وقد تبع كل هذه التطورات تغيرات بيئية، وزيادة في الاستقرار البشري ومن ثم ظهرت أول المدن (Wilkinson 2005: 5-14)، وتجدر الإشارة إلى أن تربية الحيوان والتي تشكل رافدا أساسيا للزراعة بأنها لا تكفي لوحدها لحياة الإنسان، ولا يمكن لها أن تشكل لوحدها قاعدة غذائية للمجتمعات المستقرة، بسبب انقطاع المطر أحيانا والذي سيؤدي لهجرة الناس وراء الكلأ والماء. وهنا تجدر الإشارة إلى أن الفضل في اكتشاف آثار هذا العصر يعود إلى البعثة الإيطالية ورئيسها اليساندر ديمغريه (de Maigret 2002: 134-159). وإضافة إلى المستقرات البشرية من هذه الفترة عثر على الكثير من المقابر والرسومات الصخرية (Newton and Zarins 2000: 154-179).

ويميل بعض الباحثين إلى أن العلاقات ما بين اليمن والقرن الإفريقي كانت قوية في العصور الحجرية والبرونزية (Fattovitch 1983: 349-359, Keall 2004: 43-55)، ويعتقد بعض الباحثين أن الإنسان الأول قد انتقل من إفريقيا إلى آسيا عبر اليمن. وفي الألف الثالث والثاني ق. م. ازدات وثائق هذا العلاقة وظهرت ثقافات ذات روابط مشتركة مثل



الشكل ٢: نموذج من عملية الري بالمدرجات الزراعية في اليمن (نقلا عن Kopp 2005: 107).

ثقافة صبر في منطقة لحج من الألف الثاني ق. م. والتي انتهت في القرن التاسع ق. م. (فوكت وسيدوف ١٩٩٩: ٤٢–٤٨) قد كان لها علاقة قوية مع إثيوبيا، الصومال وإريتريا. وأما موقع بلاد بونت والمذكورة في المصادر المصرية منذ الأسرة الرابعة (نحو منتصف الألف الثالث ق. م.) وحتى نهاية الألف الثاني ق. م. ، والتي تعطينا حملة الملكة حتشبسوت (وسط الألف الثاني ق. م.) الموثقة في معبد دير البحري معلومات عن الحياة النباتية والاقتصادية والسياسية فيها، فيبقى مسألة خلاف ما بين الباحثين، ففي حين يعتبر البعض أن بلاد بونت تضم جانبي الجزء الجنوبي من البحر الأحمر بما فيها اليمن، أصبح الكثير الان يميلون إلى الفرضية التي اقترحها كيتشن بأن بلاد بونت تقع ما بين بور سودان وإريتريا وامتدت أحيانا غربا حتى وصلت كسلا (Kitchen 1993: 587-608).

وفي العصر البرونزي المتأخر (الألف الثاني ق. م.) ازداد الجفاف في منطقة الهضبة اليمنية، وخاصة في النصف الثاني من الألف الثاني ق. م. وقد رافق ذلك ازدياد الاعتماد على الري المعتمد على السيول في منطقة الواحات الوقعة على مداخل الوديان، القادمة من المرتفعات والتي تصب في رملة السبعتين.

مرحلة الممالك العربية الجنوبية (بداية الألف الأول ق. م. - ق. ٦م النشاة والتطور والإنهيار:

فترة النصف الثاني من الألف الثاني ق. م. يمكن اعتبارها مرحلة انتقالية لحقبة تعرف بمرحلة الممالك العربية الجنوبية. ورغم وجود معلومات أثرية لا بأس بها عن هذه الفترة، إلا أن هذه الفترة ما تزال غامضة وخاصة مسألة التحركات البشرية في المنطقة، ومسألة استمرارية العناصر الحضارية لاحقا، ومسألة ظهور تقنية متطورة يجد العلماء فيها الكثير من الصعوبة في ربطها بحضارة العصر البرونزي، ومن هنا جاءت فكرة هجرة الشعوب العربية الجنوبية من الشمال، والتي قد جلبت معها تقنيات مختلفة من بلاد الشام وخاصة الكتابة.

وتقسم حقبة الممالك العربية الجنوبية عادة إلى ثلاث حقب رئيسة، هي: السبئية القديمة أو حقبة المكربين (القرن

العاشر–القرن الأول ق. م.)، والسبئية المتوسطة (القرن الأول–نهاية القرن الرابع الميلادي)، والسبئية المتأخرة (القرن الخامس–القرن السادس الميلادي).

١) حول مسالة التحولات في المشهد الطبيعي

ذكرنا أن مسألة التحولات المناخية في نهاية العصر الحجري الحديث، والتي أدت إلى جفاف البحيرات والأنهار، ومن ثم جفاف الغطاء النباتي الذي كان يغطي معظم هذه الوديان، والذي أدى بدورة إلى تغيير جذري في حياة الإنسان في المنطقة، وكذلك حياة الحيوانات، التي كانت تعيش هنا والتي تشهد عليه الرسوم الصخرية من هذه الفترة، وقبل فترة الجفاف هذه لم يكن هناك حاجة للري، إذ أن مقومات الحياة والبيئة الرطبة كانت متوافرة. ولكن فترة الجفاف قد حولت هذه الأنهار إلى وديان جافة، تتدفق منها السيول في مواسم المطر على الجبال، وقد ترافق مع فترة الجفاف هذه زحف الرمال باتجاه أطراف الجبال، وازداد بشكل عام التصحر وجفاف الغطاء النباتي.

كانت المدرجات الزراعية – على ما يبدو – منذ الألف الرابع ق. م. تغطي بعض المناطق من الهضبة اليمنية، وكانت بعض المناطق تغطيها الغابات وبقيت آثارها الآن في جبل بُرع غرب صنعاء والذي ما يزال يشكل غابة طبيعية. ويبدو أن هذه المدرجات الزراعية قد ازدادت في القرون الأولى الميلادية بحيث أصبحت تغطي مساحات واسعة من المناطق الجبلية، استمرت إلى حد ما في االعصور الإسلامية، فمعظم القرى والمدن الموجودة اليوم في المناطق الجبلية تظهر استمرارية لمستقرات بشرية من عصور ما قبل الإسلام.

ولا نعرف ما إذا كانت القرى الزراعية، والتي كانت منتشرة على أطراف رملة السبعتين في العصر الحجري الحديث، قد استطاعت كلها أن تصارع للبقاء، وأن تستمر بعد التحولات المناخية للطقس الجاف في الألف الرابع ق. م. وذلك لعدم توافر الدراسات الأثرية في الوقت الحاضر، ورغم أن معلوماتنا عن العصر البرونزي في منطقة الواحات ضعيفة، إلاّ أنَّه على ما يبدو أنها لم تهجر تماما، ومن المتوقع أن تكون هناك هجرات بشرية حدثت باتجاه الجبال أو مناطق أخرى. ويضاف إلى ذلك وجود معالم لمنشآت ري من هذه الفترة، وبخاصة في واحة مأرب، إضافة إلى المقابر البرجية والموجودة بأعداد ضخمة في منطقة المخدرة شرق صرواح وجبل البلق الجنوبي جنوب مأرب وجبل رويق يدل على استمرارية الاستقرار البشري في هذه المنطقة في العصور البرونزية (Guy et al. 2001). وتجدر الإشارة أن مدينة مأرب قد كانت موجودة على الأقل من أواسط الألف الثاني ق. م. (المرقطن ٢٠٠٨: ١١٢–١١٣).

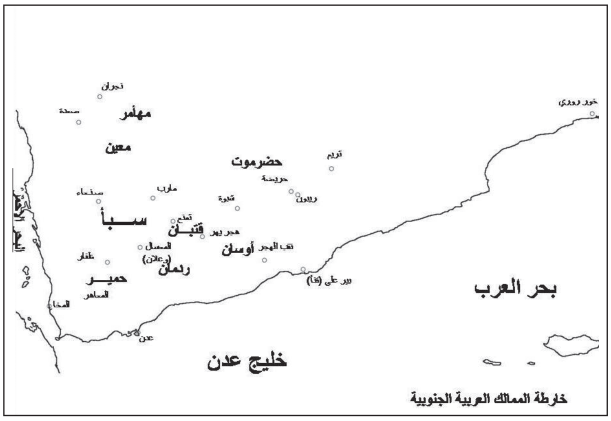
لا تخبرنا النقوش عن زلازل حصلت في المنطقة، ولكن أحد النقوش يخبرنا من ثوران بركان في منطقة الحقة في همدان شمال صنعاء في القرن الثاني الميلادي تقريبا، ويؤرخ العلماء نهاية البراكين في منطقة مأرب إلى القرن ١٣ ق. م. (Müller and von Wissmann 1976).

تكللت التطورات الحضارية في جنوب غربي الجزيرة بعد أن قطعت مراحل مختلفة من التطور الحضاري بظهور الدولة في بداية الألف الأول ق. م. والمتمثلة بظهورالممالك العربية الجنوبية (شيفمان ٢٠٠٢). وفي المرحلة الانتقالية من العصور البرونزية إلى مرحلة الممالك العربية الجنوبية حدثت تحولات اقتصادية واجتماعية جذرية مهدت لظهور الدولة لاحقا، ومنها ظهور المدن في الواحات مثل مأرب وريبون وتمنع ويثل إلخ، وأصبحت محل الجذب السكاني بدلا من مدن العصر البرونزي في المنطقة الجبلية. لكن السؤال الذي يطرح نفسة، لماذا تغير الوضع في نهاية الألف الثاني ق. م. بشكل كبير أدى إلى تغيير في الخريطة الحضارية للمنطقة؟ ولماذا انتقل الثقل الحضاري بشكل شبه كامل إلى منطقة الواحات؟ والتي أصبحت تشكل المركز الأساس منذ بداية الألف الأول ق. م. حتى قبيل ظهور الإسلام. وكان الثقل الحضاري في اليمن قد بدأ بالعودة إلى منطقة الهضبة اليمنية مع بداية القرون الأولى الميلادية، وتكلل ذلك في نهاية القرن الثالث الميلادي بتحول جذري بسيطرة الدولة الحميرية على معظم أرجاء اليمن انطلاقا من عاصمتها ظفار (Yule 2007, Gajda 2009)، وفي هذه الفترة بدأ الثقل السكاني يتحول إلى الهضبة اليمنية، وقبيل الإسلام هجرت تلك الواحات وغطت الرمال معالم تلك الحضارة ورافقه زحف القبائل البدوية لتسكن

في مواطن الحضارة السبئية.

ولعل السبب الرئيس لهذا الإنتقال الحضاري في نهاية الألف الثاني ق.م. من الجبال إلى الواحات هو انتشار أنظمة الري (Wilkinson 2006: 38-70) التي تعتمد على التحكم في مياه السيول في كافة أنحاء المناطق المحاذية لصحراء صيهد الأمر الذي أدى إلى تطور نوعي في الزراعة المروية وساعد على انتشار هذه المهارة إلى كافة أنحاء البلاد، وأصبحت الواحات توفر الغذاء لأعداد كبيرة من الناس على مدى العام. وقد أدت الهجرات البشرية من المرتفعات إلى سرعة نمو المدن (Schiettecatte 2006a)، واتخذ الكثير منها شكل التحصينات (Breton 1994)، وانتشرت القرى في كافة أنحاء هذه الوديان، وتحولت بعض المدن التي ظهرت في الوديان إلى عواصم ومراكز للممالك العربية الجنوبية الناشئة، فقد أصبحت نجران مركزا لدولة–مدينة في وادي نجران، وظهرت عدة مدن في وادي الجوف (Robin1995: 141-161) مثل نشّان ونشق وكمناهو وإنبأ وهرم وقرناو (معين) ويثُل (براقش)، وظهرت عدة مدن في وادي رغوان مثل جدفر بن منيخر (كهلم) وخربة سعود (كتلم) والأساحل (عررتم) (von Wissmann 1982: 106-113) ثم مدينة مأرب في واحة مأرب (المرقطن ٢٠٠٨)، وهربت (حنو الزرير) في وادي حريب، وتمنع (هجركحلان) في وادي بيحان، وشبوة ومدن أخرى في وادي حضرموت (Schiettecatte 2006b: 11-28)، وكل هذه المدن أصبحت حواضر ومراكز زراعية وتجارية للممالك العربية الجنوبية المختلفة. وقد يكون انتقال هذا الثقل الحضاري إلى هذه الوديان قد رافقه تحركات بشرية من مناطق مختلفة وخاصة من الشمال. وتبقى مسألة مهارة بناء السدود والمعابد الضخمة محط تساؤل، هل أحضرها السبئيون معهم من الشمال كما يعتقد بعض الباحثين؟ أم هي تطورات وتقنيات محلية؟

وهنا تجدر الإشارة إلى أن بداية استخدام الطرق التجارية التي تربط بين هذه الواحات ومناطق الساحل في النصف الثاني من الألف الثاني ق.م. ولا بد أنه قد رافق ذلك نشأة محطات تجارية على ساحل البحر الأحمر وبحر العرب، وأما الطريق الذي كان يربط بين هذه الواحات والمتجه شمالا فقد تحول سريعا مع استخدام الجمل في



الخريطة ١: خريطة الممالك العربية الجنوبية

أواسط الألف الثاني ق.م. إلى طريق عابر للجزيرة وأصبح يشكل لاحقا الطريق التجاري الدولي الذي كان يربط سواحل اليمن ببلاد الشام، حيث كانت غزة أحد محطاته المهمة (Potts 1999: 45-80). ومن أهم مظاهر هذه المرحلة هي الزراعة المتخصصة والتمدن والهندسة المعمارية المتقدمة للقصور والمعابد والسدود والبيوت والقبور واستخدام الكتابة وظهور الحرف. وهنا يمكن القول أن الزراعة المروية والنظام المرتبط بها قد شكّل اللبنة الأولى في بناء الدولة في جنوب الجزيرة، والعامل الثاني كان التجارة الدولية.

ويعتبر العلماء أن بلاد الرافدين ومصر هما المركزان الأساسيان اللذي انطلقت منهما الدولة في بداية الألف الثالث ق.م. ، في حين ظهرت الدولة بعد ذلك في آسيا الصغرى وبلاد الشام ومن ثمّ جنوبي الجزيرة العربية، وقد ارتبط ذلك بتطورات اقتصادية واجتماعية معينة. وفي جنوب غربي الجزيرة شكّلت الدولة السبئية الحلقة المركزية التي انطلقت منها فكرة الدولة إلى باقي أنحاء وديان رملة السبعتين (صيهد)، ثم انتقلت فكرة الدولة إلى الحبشة (الشيبة ٢٠٠٠: ١٦٨–١٨٨، كنتسون ١٩٨٥: ٣٤٥–٣٦٤) مع التوسع السبئي هناك ولاحقا إلى أواسط الجزيرة، حيث ظهرت دولة كندة وددان ولحيان مع ازدهار الطريق التجاري (الانصاري ١٩٨٢، الأنصاري ٢٠٠٥: ٥١٣–٥٢٩).

يتفق الكثير من العلماء على أن الممالك العربية الجنوبية قد ظهرت في الوديان الواقعة على أطراف صحراء صيهد، وهي من الشمال إلى الجنوب وإلى الجنوب الغربي (الخريطة ١) كالتالي:

- المدينة–الدولة نجران في وادي نجران.
- ممالك وادي الجوف، وهي مملكة كمناهو، ومملكة هـرَم، ومملكة نَـشّـان، ومملكة معـين. وتقـع هذه الممالك فـي وادي الجـوف، أو على فـروعـه، مثال قرناو (معين) التي تقع على وادي مذاب.
- مملكة سبأ في وادي أذنة ورغوان ووادي الجوبة، ومركزها مأرب، وقد تركزت في وادي أذنة.
- مملكة قتبان فـي وادي بيحـان ووادي حريب، ومركزها تمنع في وادي بيحان.
- مملكة أوسان في وادي مرخة، وحاضرتها مسور (قد تكون هجر يهَر).
- مملكة حضـرموت فـي وادي حضـرمـوت، والذي يصب في بحر العرب، وفروعه مثل وادي دوعن ووادي عمد... الخ.
- وادي بنِا، والـذي نشأت في أعـلاه مملكة حمير، والتي انتقلت لاحقا إلى عاصمتها ظفار.
- كندة وظهرت في وادي الدواسر، ومركزها قرية ذات كهل (قرية الفاو).

٢) التحركات البشرية وأصـول الشعوب العربية الجنوبية

تبقى مسألة أصـول شعوب جنوبي الجـزيرة العربية وتحركاتها محل جدل ونقاش. وعلى الرغم من أن الغالبية من الباحثين تأخذ بفرضية هجرة هذه الشعوب، وخاصة السبئيين من الشمال وبشكل خاص من بلاد الشام (von Wissmann 1982: 17-27). وإذا ما أخذنا بعين الاعتبار مسألة العائلة اللغوية لفرع اللغات العربية الجنوبية (السبئية، المعينية، القتبانية والحضرمية) (انظر، Nebes and Stein 2008: 145-178 Robin 2001: 509-577) فهي توضع الآن ضمن ما يسمى بفرع مجموعة اللغات السامية المركزية (Voigt 1987: 1-21, Huehnergard 2005: 155-203) والتي يضع العلماء ضمنها العربية والآرامية والكنعانية (العبرية والعمونية والمؤابية والفينيقية). وبهذا تكون قد أخرجت العربية الجنوبية من إطار ما يسمى اللغات السامية الجنوبية، والتي حسب التقسيم التقليدي للغات السامية تضم العربية الجنوبية والحبشية واللغات العربية الجنوبية كالمهرية والشحرية. وقد شدّد بعض الباحثين على مسألة العلاقة الخاصة ما بين اللغة العربية القديمة (لغة النقوش الثمودية واللحيانية والصفوية) (Macdonald 2008: 179-224) ولغة النقوش العربية الجنوبية (انظر Robin 2001: 509-577).

ويمكن القول إن العائلة اللغوية لا تحسم مسألة الثقافات التي كانت سائدة في جنوب غربي الجزيرة قبل منتصف الألف الثاني ق. م. ، ولا عملية التحركات البشرية في المرحلة السابقة لاستخدام الكتابة. ولكنه على ما يبدو أن الشعوب التي كانت تقطن هذه المنطقة منذ العصر الحجري الحديث هي جزء مما يسمى بالشعوب السامية، وإن كنّا لا نستطيع الآن معرفة هوية تلك المجموعة تماما، ولا علاقاتها بالشعوب العربية الجنوبية التي جاءت لاحقا، وذلك لعدم توافر الشواهد الكتابية عن ذلك، وأقدم شاهد على ذلك هي أسماء الأماكن والتي توصف دائما بأنها محافظة، فأسماء الأماكن في اليمن هي أسماء سامية (Isserlin 1986: 45-50, Knauf 1988: 39-49)، وهذا هو الحال أيضا في بلاد الشام وعلى الأقل أجزاء من بلاد ما بين النهرين.

وقد شـدَّد بعض الباحثين حديثا على مسألة هجرة مجموعات بشرية من الشمال، وبخاصة من فلسطين إلى اليمن، وأن تلك الهجرات قد كانت السبب في ظهور الدولة في جنوبي الجزيرة. ففي دراسـة لنوبرت نيبز عن ظهور الحضارة في جنوبي الجزيرة يشدد على أن السبئيين قد هاجروا من فلسطين في زمن ما، في نهاية الألف الثاني ق. م. ويعتقد أن متحدثي السبئية الأوائل كانوا من أحد الشعوب الكنعانية، ويسوق الكثير من الشواهد اللغوية المشتركة ما بين اللهجات الكنعانية وبخاصة عبرية التوراة ويقارنها بالسبئية، وكذلك يبرز مسألة الخط العربي الجنوبي (انظر أيضا Knauf 1989: 79-91)، وبأن هذه المجموعة البشرية قد أحضرته معها من الشمال، ويَعتقد أيضا أن القادمين الجدد قد وجدوا مجموعة سامية أخرى مستقرة في البلاد، ومتمثلة في حضارة صبر، والتي تتبع لغويا لمجموعة اللغات

العربية الجنوبية كالمهرية والسقطرية وكذلك للأثيوبية، وتشكل معها مجموعة مختلفة عن مجموعة اللغات العربية الجنوبية (لغة النقوش) التي تتبع لمجموعة اللغات السامية المركزية (Nebes 2001: 427-435).

وتجدر الإشارة إلى أن ما يسمى بالهجرات أو الموجات السامية التي كانت تأخذ كنموذج لنشأة الممالك في الشرق القديم لا يمكن الاعتماد عليها كثيرا الآن في مسألة فهم أصول شعوب المنطقة، وقد بدأ الباحثون في تطوير فرضيات أخرى في محاولة لفهم هذه المسألة. وتبقى مسألة أصول السومريين والأموريين والكنعانيين والفينيقين وشعوب جنوبي الجزيرة ينتابها الكثير من الغموض. ولنأخذ مثلا مسألة أصول العبرانيين التي أشغلت الكثير من علماء الآثار والتوراة لعقود طويلة قد انتهت الآن عند الكثيرين إلى مقولة عدم القبول بما يسمى هجرة القبائل العبرانية من مصر، والتي أصبحت تلاقي القبول العام عند الباحثين (وايتلام ١٩٩٩). إذاً، هناك معضلة في محاولة فهم هجرة السبئيين من فلسطين إلى اليمن. ولا أعتقد أن مسألة دراسة اللغة لوحدها أو بعض المصطلحات اللغوية كافية لحسم هذه المسألة. فوجود بنى نحوية مشتركة ما بين اللغة العبرية والسبئية – كما يعتقد نوبرت نيبز – لا يحسم المشكلة بأن هناك علاقة خاصة بين العبرية والسبئية، وبالتالي فقد هاجر السبئيون من فلسطين. وهناك خلاف ما بين العلماء على مسألة البدايات التاريخية للغة العبرية، والتي تسميها التوراة «سفة كنعان» أي «لغة كنعان». ولعل التشابهات اللغوية ما بين العبرية والسبئية لها علاقة بأصول تاريخية مشتركة أكثر منها من علاقة مباشرة ما بين اللغتين. والسؤال الذي يطرح نفسه أيضا، لماذا يترك السبئيون أرض فلسطين الخصبة، ليقطعوا مئات الكيلومترات للوصول إلى اليمن؟ وأما مسألة الخط العربي الجنوبي والذي لا خلاف فيه بأنه تأثير حضاري كنعاني، قد يكون قد وصل إلى اليمن بفعل العلاقات التجارية.

وفي دراستين لجوفاني غاربيني (Garbini 2004: 235-244, Garbini 2006) حول هذا الموضوع يصعب على المرء قبولهما، فهو يعتقد بهجرة مجموعة من البدو والتي



الشكل ٣: الهلال الخصيب الشمالي والهلال الخصيب الجنوبي

انتقلت في البداية إلى بلاد ما بين النهرين، ثم هاجرت إلى فلسطين، ثم قطعت الفيافي حتى وصلت اليمن، إضافة إلى أنه يضع هذا التاريخ في القرن السادس ق. م. وهو الترتيب الزمني القصير الذي تركه المتمسكون به من باحثي المدرسة الفرنسية في نهاية ثمانينيات القرن الماضي، والذي يعتمد على نظرية جاكلين بيرين في تطور الخط. ويعتقد غاربيني أن القادمين الجدد قد أحضروا معهم الخط من الشمال. إن استخدام الخط في ما يسوقه غاربيني لتحديد هوية مجموعة إثنية، فيه نوع من المغامرة، فقد استخدم الخط المسماري من مجموعات إثنية مختلفة. ومن ثم فإن الشواهد اللغوية وإن ألقت الضوء على العلاقة بين الشعوب إلا أنها لا تكفي لوحدها لحسم المسألة.

أكثر النقد لنظريات جاربيني ونيبز جاء من ألسندرا أفانسيني (Avanzini 2009: 205-220) وجوفاني مازيني، اللذان لا يجدان مبررا للهجرة أو حركة الشعوب من الشمال إلى الجنوب (Mazzini 2005: 215-238).

إذاً، تبقى هذه المسألة مفتوحة للنقاش، ولعل الاكتشافات الأثرية المستقبلية من كافة أنحاء الجزيرة وبلاد الشام ستوضح لنا الصورة. ومن الجدير بالذكر أن لدينا مئات الآلاف من الوثائق التي عُثر عليها في المنطقة وخاصة النصوص المسمارية تساعدنا في رسم صورة تاريخية لبعض التحركات البشرية في المنطقة مثل حركات

الآموريين والآراميين... الخ. والمسألة الثانية قد تساعدنا في فهم التحركات البشرية والتي لا بد من أخذها بعين الاعتبار هي دراسة التحولات البيئية في المنطقة في عصر الهلوسين وفي العصور اللاحقة، وبخاصة في الألف الثاني ق. م. ومدى تأثيرها على التحركات البشرية، ومسألة مهمة أخرى هي الدراسات الأثرية في أقاليم الجزيرة العربية المختلفة وخاصة وسطها وجنوبها، والتي ما تزال في طور البداية. وفي الوقت نفسه علينا أن نتصور أنه على الأقل منذ العصر الحجري الحديث هناك حركات بشرية مستمرة داخل الجزيرة العربية، بمفهوم امتدادها الطبيعي بشامها ويمنها، أي ما بين الهلال الخصيب الشمالي والهلال الخصيب الجنوبي (الشكل ٣).

ولعل امتداد ثقافة العبيد من العراق إلى بلاد الشام (كفافي ٢٠٠٥: ٢٠٧)، وإلى شرقي الجزيرة وجنوبا حتى منطقة الفاو في وادي الدواسر والقريبة من اليمن، لهو دلالة على العلاقات البشرية ما بين بلاد ما بين النهرين وبلاد الشام وجنوب غربي الجزيرة. وإذا كان من الصعب القبول بهجرات بشرية على طريقة ما كان يسمى في كتب التاريخ بالموجات السامية، إلا أنه من الممكن أن نتوقع حركات بشرية من الجنوب باتجاه الشمال، كما هو معروف بهجرة القبائل اليمنية منذ القرون الأولى الميلادية باتجاه بلاد الشام، مثل طي وغسان... الخ، يمكن لنا أن نتصور تحركات بشرية من بلاد الشام في الألف الثاني ق. م. باتجاه وسط وجنوبي الجزيرة.

ومن المحتمل أن شعوب جنوب غربي الجزيرة كانت تشكل جزءا من حركة الشعوب الأمورية، والتي كان مركزها بادية الشام وأعالي الجزيرة الفراتية، وشكلت إمبراطورية ماري (تل الحريري) في النصف ألأول من الألف الثاني ق. م. ، تلك الشعوب التي بدأت منذ في نهاية الألف الثالث ق. م. بالتسرب باتجاه بلاد ما بين النهرين وسيطرت على كثير من المدن، وأسست أُسراً حاكمة من أهمها أسرة حمورابي في بابل في القرن الثامن عشر ق. م. ، وكذلك سارت باتجاه سواحل بلاد الشام وباتجاه مصر، ومنهم الهيكسوس الشاسو، وكذلك على ما يبدو أن بعض هذه الشعوب قد سارت باتجاه الجنوب؛ وهنا لا بد لنا من أن نأخذ بعين الاعتبار حركة الشعوب الأمورية مثل السوتو والأخلامو وبني يامين وقبائل أمورية مختلفة أخرى كانت تجوب المنطقة من أعالي الفرات إلى أواسط الجزيرة، وعلينا أن لا ننسى أن المصطلح الأكادي «أمورو» وفي السومرية «مارتو» الذي أطلق على هذه الشعوب هو اصطلاح عام يعني «شعوب غربي الفرات» (هالدر ١٩٩٣، 75-21 :Streck 2000).

تُعد فترة العصر البرونزي المتأخر فترة مظلمة واضطرابات وحركات بشرية وهجرات بشرية مختلفة في الشرق القديم، إضافة إلى انهيار حضارات وقيام حضارات أخرى، على امتداد الشرق القديم وشرق المتوسط. ولا يمكن دراسة أوضاع الجزيرة العربية من دون وضع التطورات في الجزيرة العربية ضمن هذا السياق التاريخي العام للشرق القديم، فالجزيرة لم تكن معزولة عن هذه الأحداث. وقد غيرت تلك الحركات البشرية وجه الشرق القديم في بداية الألف الأول ق. م. ، إذ أفرزت الدولة الآشورية الحديثة وسلالة جديدة في بابل واتسمت بسيطرة الآراميين على أجزاء كبيرة من جنوبي بلاد ما بين النهرين، وأفرزت كذلك الممالك الآرامية في أجزاء كبيرة من بلاد الشام، وظهرت الممالك الفينيقية والممالك الكنعانية الأخرى كممالك العبرانيين والعمونيين والمؤابيين والأدوميين، وكذلك ممالك العرب (أريبي) شمالي الجزيرة ومركزها أدوماتو والممالك العربية الجنوبية، إضافة إلى ممالك شعوب البحر خاصة شعب الفلستين في الساحل الفلسطيني والذي أخذت فلسطين اسمها منه.. كل هذه المظاهر الجديدة لا بد من وضعها في إطار تاريخي موحد، ورغم الغموض التي ينتاب بدايات وأصول هذه الممالك والتي لا نعرف بشكل دقيق بداياتها وأصولها، فمثلا يفترض الباحثون بأن الآراميين قد جاءوا من بادية الشام، أو أن ما يسمى بالعبرانيين قد جاءوا من مصر وسيطروا بالحرب على فلسطين، ولكن النظرية السائدة الآن بأنهم يمثلون مرحلة تطور في الثقافة الكنعانية، وليس هناك هجرة من مصر كما هو متعارف عليه (وايتلام ١٩٩٩). ولا بد من أضافة حركة شعوب أخرى جاءت من الشمال مناطق أوراسيا كانت تستخدم الحديد وحاولت الاستقرار في الشرق القديم فيما بين ١٢٠٠-١١٠٠ ق. م. (Issar and Zohar 2007: 163-164).

إذاً، لا بد لنا من الأخذ بفرضية تسرب السبئيين نحو جنوبي الجزيرة من الشمال ووضعه ضمن التحركات البشرية الأمورية المختلفة التي كانت في العصر البرونزي المتأخر، تلك الشعوب التي كانت تجوب أنحاء مناطق مختلفة من الشرق القديم. ولعل أحد الأسباب الرئيسية لهذه التحركات البشرية يعود إلى فترة الجفاف التي سادت في الشرق القديم بشكل عام في نحو ١٦٠٠ ق. م. والتي ازدادت في الفترة ما بين ١٥٠٠-١٣٠٠ ق. م. وأصابت بشكل خاص المناطق الداخلية من بلاد الشام في أواسط العصر البرونزي المتأخر أي نحو ١٣٠٠ ق. م. (Issar and Zohar 2007: 165-167). ومن المعروف أن اليمن لم تكن خالية من السكان في تلك الفترة، وهنا يمكن القول إن القادمين الجدد الذين جلبوا معهم خلاصة معارف بلاد الشام التقنية، قد ذابوا في إطار تلك الشعوب السامية الأخرى الموجودة في البلاد، وأخذوا بالتقنيات الموجودة خاصة أنظمة الري، وقاموا بتطويرها إلى درجة عالية وتركزت بصماتهم على هوية البلاد الثقافية التي أصبحت تحمل اسمهم خاصة المجموعة السبئية.

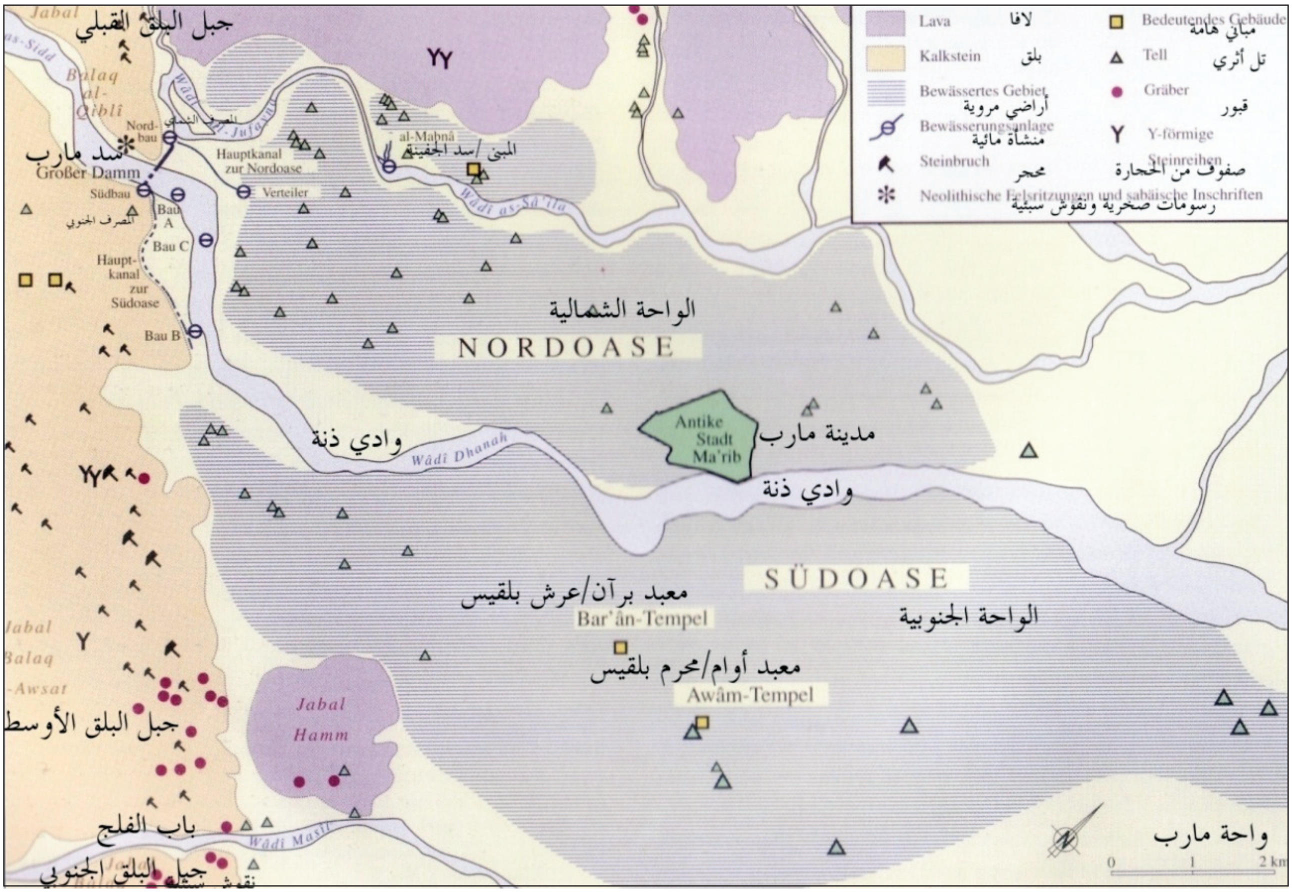
ويبدو أن هناك حركة دائمة من وإلى جنوب غربي الجزيرة كانت مستمرة عبر العصور. وتخبرنا النقوش العربية الجنوبية مثلا عن القبيلة العربية الشمالية المعروفة بشعب أمير في القرن الثامن ق. م. والتي تسربت باتجاه الجنوب وسكنت على امتداد الطريق التجاري ما بين نجران وحضرموت واعتمدت على تربية الجمال وحراسة الطريق التجاري (von Wissmann 1964: 81-188)، ويذكر نقش المكرب يثع أمر وتر (نحو ٧٢٠ ق.م.) المكتشف حديثا أن هذه القبيلة كانت تسيطر على وادي الجوبة في نهاية القرن الثامن ق. م. (Nebes 2007: 29). ونجد كذلك تسرب الأعراب باتجاه الجنوب والتي تذكرهم النقوش منذ القرن الأول ق. م. (الأشبط ٢٠٠٤)، والجدير بالذكر بأن حركة عرب الشمال باتجاه اليمن كانت قوية قبيل الإسلام، والتي على ما يبدو أذابت ثقافة الممالك العربية الجنوبية في بوتقة ما يسمى بالعرب الذين تبلورت هويتهم مع ظهور الإسلام، وبدأت تختفي اللغات العربية الجنوبية لتحل محله اللغة العربية الشمالية.

وهنا، لا بد من التركيز على مسألة التطور الحضاري في جنوبي الجزيرة وإعطائه حيزا كبيرا في سياق نشأة الحضارة في الشرق القديم، وهذه الفرضية تشكل الحلقة المركزية في مسألة نشأة الدولة. وتجدر الإشارة إلى أنه لم يعثر في بداية الألف الأول ق. م. على لقى أثرية واضحة وصريحة تدل على ثقافة جديدة قادمة من مكان ما، ولكن الحال هو كذلك في سيطرة القبائل الأمورية على مناطق واسعة في بلاد الرافدين، فليس هناك ثقافة حضارية معينة ترتبط بهذه المجموعات البشرية حين سيطرت على بابل أو غيرها بل أخذت هذه القبائل بثقافة البلد، ولا يدلنا على تحركاتها إلا الشاهد الكتابي مثل اسمائهم التي تذكر في تلك الكتابات. إن مسألة ربط اللقى الأثرية بمجموعة إثنية معينة فيه الكثير من الخطورة، إذ لا يمكن الإعتماد عليه دائما، وقد يقع الباحث في مطبّات كثيرة، فقد تكون هناك عدة مجموعات إثنية تستخدم الأدوات نفسها التابعة لثقافة معينة وفي المكان نفسه.

ويبقى السؤال، إلى أي حد يمكن التعويل على الفرضية القائلة بأن شعوب اليمن في العصر البرونزي المتأخر وبتقنيتهم المحدودة أو بتقنية حضارة صبر، قد استطاعت وبشكل مفاجئ تطوير حضارة الممالك العربية الجنوبية؟ ومع عدم التقليل من أهمية ثقافة العصور البرونزية في اليمن والتحولات الحضارية المهمة التي رافقتها ومنها ما كشفت عنه البعثة الأمريكية في ذمار من صفحات متقدمة في مرحلة التحول إلى مجتمع مديني (Wilkinson et al. 1997: 99-142) لا بد من الأخذ بوجود مهارات جديدة وافدة قد دفعت بعجلة التطور وطبعت هوية البلاد باسمها وهم السبئيون والشعوب العربية الجنوبية الأخرى وكما ذكرنا فإن حركة الشعوب ما بين الهلالين الخصيبين الشمالي والجنوبي كانت دائمة.

ثالثا: مقومات نشأة الدولة في جنوب غربي الجزيرة

بعد هذا العرض للتطوارات الحضارية وحركات الشعوب في المنطقة هذا ملخص للتطورات الاقتصادية والاجتماعية في بداية الالف الاول ق. م. وللأسس التي أدت وساعدت على قيام الدولة:



الخريطة ٢: واحة مأرب نقلا عن Seipel 1998: 180 مع وضع الأسماء العربية من كاتب هذا المقال.

١: المنشئات المائية في جنوبي الجزيرة العربية ومؤسسة الري السبئية والزراعة المروية وأهميتها في نشأة وتطور الدولة

للحضارة في اليمن جذور تاريخية عميقة تُشكل أركانها مجموعة من الأسس، أهمها بلا شك الري. ومن هنا، حملت الحضارة اليمنية القديمة لقب «حضارة الري» بجدارة، والتي ترجع جذورها على الأقل للألف الرابع ق. م. (Brunner and Haefner 1990: 135-153). وهذا ليس مفاجئا، ففي نهاية العصر الحجري الحديث، وبالذات في الألف الرابع ق. م. بدأت التحولات المناخية في المنطقة بموجة جفاف، وشملت مناطق أطراف رملة السبعتين. حيث يبدو أن الردّ الطبيعي للإنسان في الديار كان ردّا طبيعيا على تحدي الطبيعة، فلم يهجر الإنسان المكان ومناطق سكناه كليا، بل قام بتطوير منشئات مائية للتحكم بالسيول القادمة من الجبال باتجاه رملة السبعتين، وهنا يجوز استخدام نظرية أرنولد توينبي «التحدي والاستجابة» للدلالة على نشأة الحضارات الأولى في هذه الديار، هذه النظرية والتي تستخدم عادة للدلالة على نشأة الحضارات، وبخاصة في مصر وبلاد الرافدين (توينبي ١٩٨١). ومن المعروف أن الحضارات المتقدمة في بلاد ما بين النهرين ومصر قد نشأت أيضا في هذه الفترة. ومن الصعب القول إن فكرة بداية استخدام المنشآت المائية في جنوبي الجزيرة قد تمّ استيرادها من الخارج، بل هي تطوير محلي، وإن وصلت في زمن القادمين الجدد أي السبئيين إلى أعلى مراحلها (الخريطة ٢). ولعل تقنية التعامل مع الموارد المائية وبالذات السيول الجارفة، تختلف عن تقنية التعامل مع فيضان الأنهار في مصر وبلاد ما بين النهرين، والتي كانت تعتمد على حفر القنوات التي كانت تروي الحقول، وكذلك تقوم على تقنية استغلال مياه الأنهار الدائمة الجريان، وتحويلها في قنوات لري الحقول. أما في الحضارة اليمنية فليس هناك أنهار دائمة الجريان بل هناك سيول جارفة، تأتي لمدة قصيرة في السنة من الجبال، ولا بد للناس من التعامل معها؛ ومن هنا، يمكن القول إن المهارة

التي طورها هؤلاء الناس، تعد تطورا حضاريا رفيعا ترك بصماته على الحضارة في هذا البلاد بشكل عام طوال تاريخها. وكانت الفكرة الأساسية هنا هي ليست في الوقوف أمام السيل الجارف، بل القيام بعمل مصدات وجدران في بطن الوادي لوقف جماح السيول العاتية، والتحكم في اندفاعها، وتوزيعها على الحقول في قنوات رئيسية وفرعية (Brunner and Kohler 1997: 171-198).

من الخطأ الاعتقاد بأن منشئات الري هي التي قد أدت إلى ظهور المجتمع في اليمن القديم، ولا يجوز ربط ذلك بنظرية فيتفوغل «الهيدرولوكية»، والتي يعتقد صاحبها أن ظهور المجتمعات في الأودية النهرية كان نتيجة مباشرة لاستخدام الري المتطور، وقد أوضح ماك آدمز بطلان هذه النظرية بالنسبة للعراق القديم؛ وذلك لأن المجتمع كان متطورا في جنوبي العراق قبل استخدام المنشئات المائية الضخمة (Adams 1965). وهذا أيضا شأن جنوبي الجزيرة العربية، فالمجتمع المتطور المرتبط بالزراعة كان موجودا في المنطقة في الألف الثالث والثاني ق. م. ، أي قبل ظهور المؤسسات المائية الضخمة ولكن الري أعطى دفعة قوية في تطوير المجتمع. وبالرغم من أن استخدام السدود لم يكن من اختراع السبئيين بل كان موجودا قبلهم بقرون عديدة، إلاّ أننا لا بد لنا أن نشدد على أن ظهور المنشئات المائية الضخمة ارتبطت بنشاة الدولة وبالقادمين الجدد وخاصة بالسبئيين كما نراها في المراحل الأولى لسد مأرب.

معلوماتنا عن الري مستقاة من الدراسات الميدانية والمسوحات والحفريات الأثرية التي قامت بها العديد من البعثات الأثرية في اليمن. فقد عثرت ووثقت هذه البعثات على الكثير من مباني السدود والقنوات، وكذلك عثرت على الكثير من النقوش المرافقة لهذه السدود والقنوات، والتي تتحدث عن بنائها أو ملكيتها. ويضاف إلى ذلك عشرات النقوش العربية الجنوبية التي تتحدث عن الري وكذلك المصادر العربية اليمنية، وخاصة الهمداني التي تعطينا معلومات مهمة عن الري، وكذلك الدراسات الإثنوغرافية الحديثة.

لعل أهم سمات الحضارة في جنوب غرب الجزيرة هي مسألة التحكم في الموارد المائية والتي استمرت عبر التاريخ.

إن معظم مناطق جنوب غربي الجزيرة هي مناطق جافة أو شبه جافة، ونسبة هطول الأمطار في الوديان المحاذية لصيهد مثل مأرب لا تزيد عن ١٠٠مم في العام، ناهيك عن التربة الرملية غير الصالحة للزراعة بدون الري، وبدون طبقات التربة الغرينية التي تجلبها مياه الأمطار، وهذا المنسوب الضعيف من الأمطار غير كاف للزراعة وحياة الإنسان.

ولكن الأمطار الموسمية التي تهطل بكميات وافرة وبمعدل ٣٠٠-٤٠٠ مم على المناطق الجبلية في موسمين في العام، في الربيع والخريف، عادة في شهري أبريل ويوليو/أوغست حيث تتجمع في تلك الوديان مثل أذنة وحريب وبيحان إلخ (Coque-Delhuille and Gentelle 1997: 99-109) وتتحول إلى سيول جارفة وتسير في هذه الوديان لتصب في صحراء صيهد. واستطاع الإنسان تطوير تقنيات خاصة وهي عبارة عن سدود لري مساحات واسعة من الاراضي الواقعة في نقطة تلاقي تلك الوديان بالصحراء، واستطاع الإنسان أن يحوّل التربة القاحلة إلى واحات خصبة، وحصل تغير نوعي في طوبغرافية الواحات، وانتشرت المزارع والقرى والمدن في كافة أنحاء هذه الواحات (Brunner and Haefner 1990: 135-153). وعلى الرغم من أن أقدم الشواهد على استخدام السدود وقنوات الري حسب التحريات الأثرية الحديثة في اليمن تعود للألف الرابع قبل الميلاد، إلا أن هندسة السدود قد وصلت إلى مرحلة نوعية هي في بداية الألف الأول قبل الميلاد كما نرى ذلك ممثلا في سد مأرب (Schaloske 1995, Brunner 2000: 167-182) ومئات السدود التي بناها عرب الجنوب (الأكوع ٢٠٠١).

تجدر الإشارة إلى أن العديد من الباحثين في آثار اليمن قد اهتموا بمسالة الري، وقد أجريت العديد من التحريات الأثرية في أنحاء مختلفة من اليمن فقد أجرت المؤسسة الأمريكية لدراسة الإنسان في الخمسينيات من القرن الماضي تحريات أثرية عن الري في وادي بيحان ومأرب (Bowen ١٩٥٨: ٤٣-١٣١)، وفي الثمانينات قامت هذه المؤسسة بدراسات أخرى في وادي الجوبة إلى الجنوب الغربي من مأرب (Ghaleb 1990).

وهناك أيضا عدة دراسات عامة عن أنظمة الري

(Brunner and Haefner 1990: 135-153). وكذلك عن أنظمة الري في العصور الإسلامية (Varisco 1996: 238-257) وكذلك أنظمة الري التقليدية. وبناء على دراسات قام بها أولي برونر في واحة مأرب، فإن ارتفاع طبقة الطمي السنوية كانت نحو ١,١ ملم (Brunner 1983, Schmidt 1982: 9-20)، وبناء على ارتفاع طبقات الطمي المتراكمة لأكثر من ٢٥ مترا، فقد قام بتأريخ منشئات الري في واحة مأرب إلى نهاية الألف الثالث ق.م. (Brunner 1997b: 75-85).

وكما أجريت عدة دراسات في العقدين الماضيين لدراسة تراكمات طبقات الطمي في وديان أخرى في اليمن. فقد قامت البعثة الفرنسية بتحريات مماثلة في التسعينيات من القرن الماضي في وادي الجوف وحضرموت (Gentelle 1991: 5-52, Harrower 2008: 497-510)، وفي وادي بيحان (Coque-Delhuille and Gentelle 1997: 99-109). وكذلك أجرت البعثة الروسية-اليمنية دراسات عن الري في ريبون في وادي حضرموت في ثمانينيات القرن الماضي. ولا بد من الإشارة إلى بعثة جامعة شيكاغو في منطقة ذمار، واكتشافاتها فيما يخص العصور البرونزية (ويلكنسون وآخرون ٢٠٠١: ٩٧-١٨٥). وكانت البعثة الكندية في العام ٢٠٠٦ قد قامت بتسجيل ملاحظات مهمة عن الري في واحة رغوان إلى الشمال من مأرب.

ليس هناك دراسات شاملة عن الري في جنوب غربي الجزيرة قامت بتوظيف الشواهد الأثرية والشواهد الكتابية في آن واحد، فهناك العديد من الدراسات التي قامت بتوظيف الاكتشافات الأثرية والجيومورفوجية لوحدها، وهناك بعض الدراسات النقشية عن الري والتي قامت بنشر النقوش المكتشفة، والكثير منها لا يتعرض للسياق الأثري حتى وإن وجد، وهناك دراسات عالجت المصطلحات الخاصة بالري، أهمها رسالة إرفين للدكتوراة (Irvine ١٩٦٢). لعل أي دراسة للري لا بدّ لها من محاولة دمج كافة مصادر المعلومات عن الري من نقوش وشواهد أثرية ومصادر عربية وأثنوغرافية، إضافة إلى محاولة إدماج العوامل البيئية، وكذلك دراسة العلاقة ما بين المجتمع ومشئات الري الخاصة به.

ولا يمكن التعويل على بعض الدراسات الحديثة التي تدعي أن نظام القنوات والغيول في الجزيرة العربية بشكل عام من شمالها إلى جنوبها هي تقنية فارسية (Lightfoot ٢٠٠٠: ٢١٥-٢٢٦). إن من ينظر إلى مئات القنوات المشقوقة والغيول والأفلاج في الصخر والمنتشرة في اليمن وفي أنحاء أخرى من الجزيرة، وينظر كذلك إلى المفردات الخاصة بالقنوات، والتي تؤرخ ابتداء من القرن الثامن ق.م. إلى بداية الإسلام، يجد مدى حماقة هذه النظرية.

تتحدث بعض هذه النقوش عن بناء السدود أو إصلاحها، ولدينا عدة نقوش تتحدث عن مراحل بناء سد مأرب والتصدعات التي قد أصابت السد عبر العصور، ومن ثمّ إعادة ترميمه ومنها نقوش الملك أبرهة. ويظهر من خلال النقوش بأن هناك عدة سدود قد كانت موجودة في واحة مأرب ولم يتم تحديد إلاّ بعضها. ليس هناك دراسة متكاملة عن السدود في اليمن ولا يوجد هناك مسح شامل عن ذلك، وبالتالي لا نعرف عددها ولا أماكنها. وتذكر النقوش العشرات من هذه المنشئآت بأسمائها ولعل نظرة سريعة في المعجم السبئي ستعطي القاريء لمحة عن هذا الجانب المعرفي الهام من الحضارة السبئية، ولدينا الكثير من وثائق التملك لهذه المنشئآت ووثائق أخرى تتحدث عن بناء أو ترميم هذه المنشئآت وحقوق توزيع المياه. ولدينا نحو ٦٠ نقشا تتحدث عن الري بصورة مباشرة، ولا يوجد دراسة شاملة لمصطلحات الري، وأي دراسة لهذه المصطلحات لا بد لها من الأخذ بالسياق الأثري لأنه يساعد كثيرا في فهمها. وتزودنا النقوش الزبورية المكتوبة على العسيب بمعلومات عن استخدام الساعة المائية «مفرع» (Ryckmans et al. 1994: 95, No. 11, Ryckmans 2001: 223-235).

وفي حين انتهت أنظمة الري في مناطق الواحات مع ظهور الإسلام يستمر استخدام هذه السدود في العصور الإسلامية في منطقة الهضبة اليمنية (بيوتروفسكي ١٩٨٧: ٩٦-٩٩). ولكن إشارات الهمداني في كتابه الإكليل الثامن تدل على أنها قد كانت بالمئات، فيذكر الهمداني أيضا (صفة جزيرة العرب، ٢٠٠) أنه في منطقة يحصب قرب يريم أكثر من ٨٠ سدا يذكرها بأسمائها (الأكوع ٢٠٠١).

نقوش سبئية قديمة تتحدث عن سدود من القرن

الثامن ق. م. في منطقة سد مأرب

أهم ما يميز المنشآت السبئية للري أنها من بناء الحكام السبئيين أو موظفين كبار في الدولة، إضافة إلى سدود بنتها الشعوب أو القبائل. ويظهر من خلال النقوش أن الدولة كانت تحكم قبضتها على هذه المؤسسة. هناك عدة نقوش عثر عليها في موقع سد مأرب عند مخرج وادي أذنة باتجاه واحة مأرب وتؤرخ بناء على الخط للقرن الثامن ق. م. وهذا النقش هو أحد ثلاثة نقوش من النوعية نفسها ويتكون من أربعة سطور مكتوب بخط المحراث يتحدث عن بناء سد في موقع سد مأرب نفسه وهو منقوش على الصخر عند مدخل الوادي على ارتفاع نحو ٧ أمتار من الأرض. والنقش (Maraqten-Marib 4، اللوحة ١) غير منشور حتى الآن.

ويمكن تأريخه للقرن الثامن ق. م. ومن الصعب تحديد علاقته بسد مأرب المعروف، حيث أن النقش بعيد عن المصرف الشمالي والجنوبي. وقد يكون المقصود هو سد آخر في مرحلة سابقة قليلا للسد المعروف. ويمكن قراءة النص كالتالي:

النص:

١. ش ي ط م/ ب ن/ ي ش ر/ وأ ن ب ع/ ك ب ر/ م ي د ع م/

٢. م ود/ ي ك ر ب م ل ك/ وي ث ع أ م ر/ ب ن ي/ ه ر

٣. د ع/ وع ج ل م ت ن/ وب ر أ/ ع س ن ت ن/ ووأ ب

٤. ك ل وت/ ب ن/ ذ ه ب م

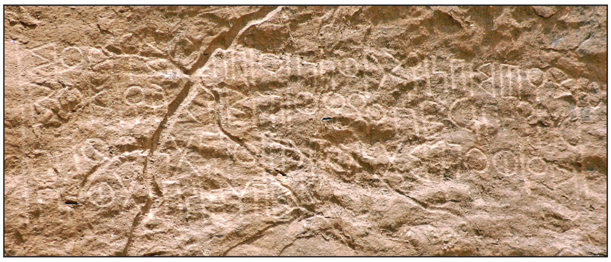
الترجمة:

١. شيّاطم بن يشار وأنبع كبير (قبيلة) ميدعم

٢. صديق (وزير) يكرب ملك ويثع أمر بَنى

٣. هذا السد ووضع الجدار المرصوص بالحجارة ودشَّن هذا السد وشقّ في الصخر

٤. مُسنّاة هذا السد للتحكم بمياه الوادي.



اللوحة ١: النقش Maraqten-Marib 4

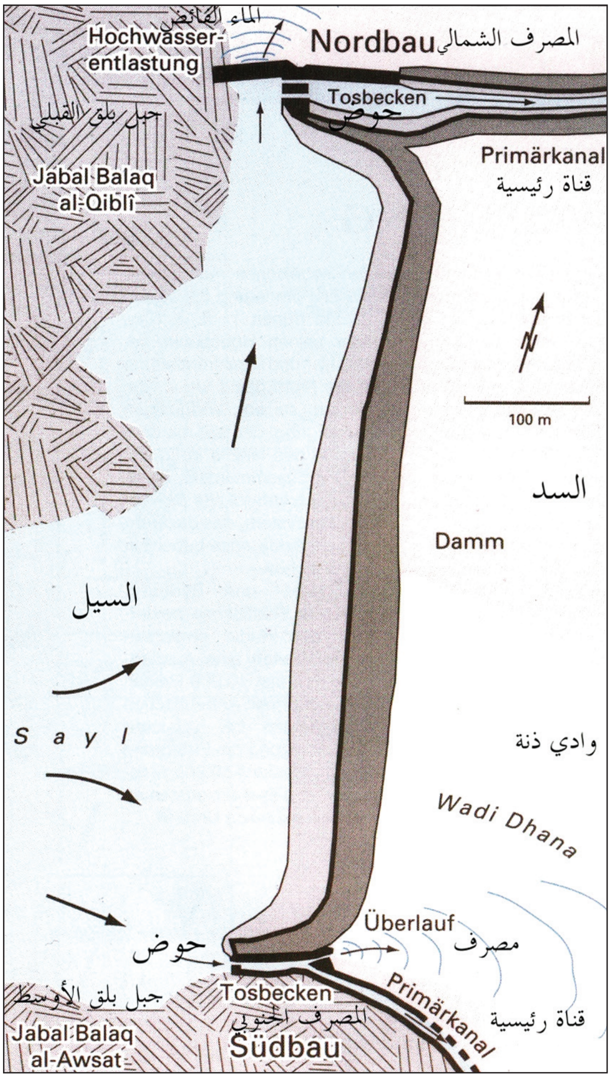


اللوحة ٢: سد مارب: المصرف الجنوبي

العرم (ع ر م ن) سد مارب

يذكر هذا المصطلح للدلالة على سد مأرب المشهور (جام ٦٧١ + ٧٨٨، شرف الدين MB 2004 I-151=7) والذي قد مرّ بناؤه في مراحل مختلفة. وقد بني على وادي أذنه (ذنه) عند نقطة التقاء جبلي البلق الشمالي بالأوسط، وتبلغ مساحة حوض وادي أذنة الملتقطة للأمطار نحو ١٠ آلاف كم. وله مصرفان، شمالي وجنوبي. وتزودنا النقوش عن مراحل بناء السد وإصلاحه منذ نحو القرن السادس ق. م. حتى القرن السادس الميلادي. إضافة إلى التحريات الأثرية التي زودتنا بمعلومات عن المراحل الأولى لبناء السد.

ويشكل سد مأرب القديم (اللوحة ٢) بشكله الحالي آخر حلقة في سلسلة من السدود التي سبقته في وادي ذنة. ويعرف وادي ذنة في النقوش بالإسم «أذنة» أو «ذنه» وهو الوادي الذي تتجمع فيه مياه المطار في شرقي صنعاء وتسير باتجاه مأرب، لتنتهي بفجوة ما بين جبل البلق الشمالي أو القبلي وجبل البلق الأوسط قبل أن يصب في صحراء رملة السبعتين (صيهد). وإذا قدّرت مياه الأمطار المتساقطة على هذه المنطقة في السنة، فإن المياه المتجمعة في السنة



الشكل ٤: مخطط سد مأرب

والمندفعة في السيل تقدر بـ ٢٠٠ مليون متر مكعب. وقد أقام السبئيون في المضيق الذي يقع ما بين الجبلين المذكورين، وفي أضيق مكان بينهما، سد مأرب المشهور أو العرم (Brunner and Haefner 1990: 135-153). ويتكون السد من حاجز بُني بالحجارة والطين والأتربة وكسر الحجارة، ويبلغ طوله ٦٨٠ متراً، وارتفاعة نحو ١٦ مترا، وعرضه نحو ٢٠ مترا، ويربط ما بين مصرفين، وهما المصرف أو الصدف الشمالي، والمصرف أو الصدف الجنوبي؛ وتتفرع من هذين المصرفين قناتان رئيسيتان، ومنهما تتفرع شبكة ضخمة ومعقدة من القنوات الفرعية والسدود التحويلية تروي الواحتين الشمالية والجنوبية، والواحة الشمالية كانت تسمى في النقوش أبين، والجنوبية يسران (Brunner 2000: 167-182).

كان سد مأرب يشكل العمود الفقري لمؤسسة الري السبئية ولإقتصاد واحة مأرب، وقد يتبادر للذهن أن هذا السد كان خزانا ضخما وبأن السبئيين كان باستطاعتهم سقي مزارعهم طوال العام. لقد كانت الوظيفة الأساسية للسد هي رفع مستوى مياه السيل والتحكم بتلك المياه أثناء موسم الأمطار، وكذلك كبح جماح المياه المندفعة بشكل قوي في الوادي، وتحويلها في قنوات لسقي الحقول؛ وكان ذلك هو المبدأ الرئيسي في بناء السدود في اليمن القديم بشكل عام. وهذا ما ينطبق على سد مأرب الذي لم يكن لتخزين المياه كما هو الحال لسد مأرب الجديد الذي تم تدشينة في العام ١٩٨٦م (الشكل ٤).

وقد نال سد مأرب اهتمام الباحثين واتخذ كنموذجا لدراسة المشئات المائية في اليمن. وسد مأرب معروف في النقوش باسم ع ر م ن أي «العرم»، ويشكل سد مأرب أحد أهم إسهامات السبئيين على مستوى الشرق القديم، وأحد أهم المساهمات البشرية في هندسة بناء السدود في الألف الأول ق. م. ومن المراحل السابقة لبناء سد مأرب المعروف ما أطلق عليها الأثريون الألمان مرحلة (ألف وباء) والتي تعود إلى بداية الألف الأول ق. م. ، وهي قريبة من موقع السد الذي يمكن رؤيته حاليا (Herberg 1986: 33-47). والمراحل المعمارية المختلفة التي مّر بها السد ارتبطت بالسبئيين حيث يترافق تأسيسه بهذا الحجم مع بناء المدن والقصور والمعابد السبئية، ويمكن تأريخة للفترة ما بين القرن الثامن ق. م. إلى نهاية القرن السادس الميلادي. وتؤرخ نقوش من المصرف الجنوبي إلى زمن المكرب يثع أمر بين بن سمهو على (القرن السادس ق. م. CIH 622, 623). وهذه نماذج من النقوش التأسيسية للسد:

١) نقش يتحدث عن بناء خزان للمياه والذي كان يشكل



الشكل ٥: كوبوس ٦٢٢

جزءا من المصرف الجنوبي (CIH 622)، وكانت تكمن أهميته في تهدئة المياه المندفعة عند فتح المصرف قبل أن توزع إلى القناة الرئيسية باتجاه الواحة الجنوبية يسران (الشكل ٥).

النص:

١. ي ث ع أ م ر/ ب ي ن/ ب ن/ س م ه ع ل ي/ ي ن ف/ م ك ر ب

٢. س ب أ/ م خ ض/ ب ل ق/ م أ خ ذ ن/ ح ب ب ض/ م ن خ ي/ ي س ر ن

الترجمة:

١. يثع أمر بين بن سمهو علي مكرب

٢. سبأ شقَّ في صخر البلق هذا المأخذ (الخزان) المسمى حبابض والذي يشكل قناة تسير باتجاه (الواحة الجنوبية) يسران.

٢) نقش يتحدث عن بناء المصرف الجنوبي (كوربوس ٦٢٣، الشكل ٦) قام به المكرب السبئي سمهو علي ينوف بن ذمر علي (القرن ٦ ق. م)، وهو مكتوب بخط المحراث:

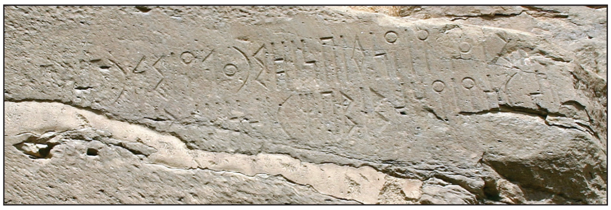
النص:

١- س م ه ع ل ي/ ي ن ف/ ب ن/ ذ م ر ع ل ي/ م ك ر ب/س ب أ/ م خ ض/ ب ل ق/م أ خ ذ ن/ ر ح ب ن/ م ن خ ي/ ي س ر ن

الترجمة:

١- سمهوعلي ينوف بن ذمر علي مكرب

٢- سبأ شقَّ في صخر البلق هذا المأخذ (الخزان) المسمى خابم، والذي يشكل قناة تسير باتجاه (الواحة الجنوبية) يسران.



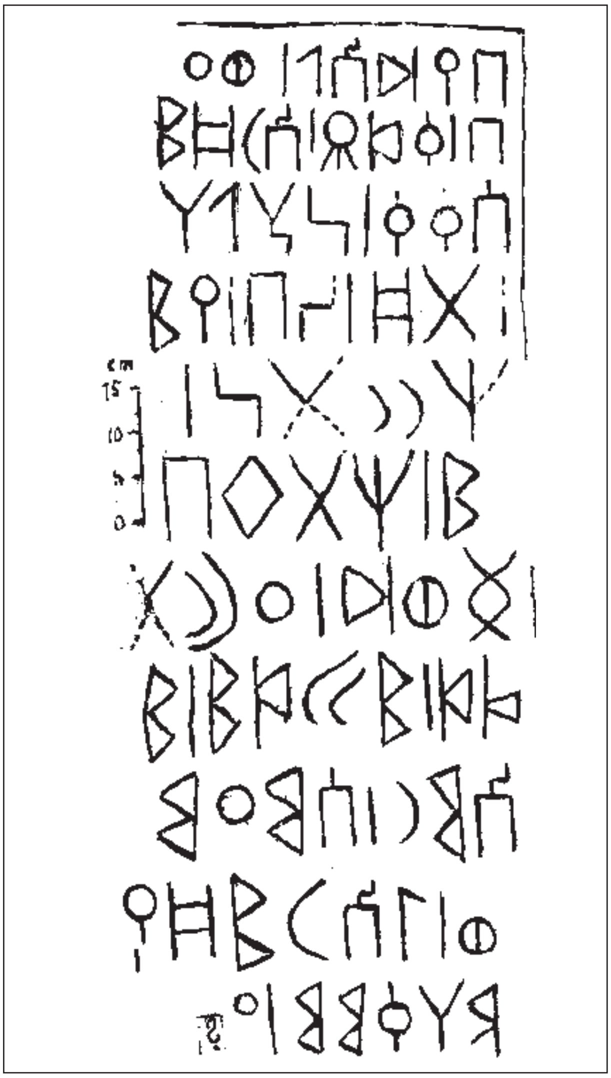
الشكل ٦: كوربوس ٦٢٣

تخبرنا النقوش عن تصدعات في سد مأرب والتي تعرض لها وخاصة في القرون الأولى الميلادية، وكان أول ذكر لها في النقوش من أيام الملك الحميري ثأران يهأمن وابنه ملك كرب يأمن في بداية النصف الثاني من القرن الرابع م. (جام ٦٧١ + ٧٨٨). عبر تاريخه الطويل ومن أهمها وسط القرن الخامس الميلادي، حيث قام بإصلاحه الملك الحميري شرحبيل يعفر (CIH 540) ثم نحو ٥٤٢م. حتى انفجر نهائيا ولم يعد إصلاحه. وفي أواسط القرن السادس انفجر السد من جديد وقام بإصلاحه الملك أبرهه (جام ٥٤٤-٥٤٧، انظر ,Jamme 1955, CIH 541)، وكشف عن نقش آخر لأبرهه يتحدث عن إصلاح السد (Nebes 2004: 221-230). وما يمكن رؤيته اليوم من مبان سواء في المصرف الشمالي أو في المصرف الجنوبي تعود للقرون الأولى م. وخاصة القرن الخامس والسادس م. أي المرحلة الأخيرة من تاريخ السد. وقد قام المعهد الألماني حديثا ببعض أعمال الصيانة لهذا السد (Vogt 2005: 501-520, 2003).

مؤسسة الري في وادي الجوف وواحة رغوان

لدينا عدة نقوش سبئية قديمة تحتوي على شهادات بحقوق استخدام القنوات للري، أصدرها المكربون، أو مجالس المدن وكذلك الدولة السبئية، ويظهر منها أن المكرب كان أحيانا مسؤولا مباشرا عن مؤسسة الري، وتظهر أيضا أن أهم الموظفين الذي كانوا يشرفون على توزيع المياه هم من موظفي الدولة، ومنهم:

مراقب الري: المُدَرّر (م د ر ر): ويرد في عدة نقوش ابتداء من القرن الثامن ق. م. ، منها نقش حصن آل صالح من منطقة براقش في الجوف (MAFRAY-Huṣn Āl Sāliḥ 1/11-12, Robin 1987: 167-69)، وكان الري يتم عن طريق قرار أو مرسوم (ف ت ح) من مجلس المدينة (م س ود) كما يرد في هذا النقش. وتسمى هذه الوظيفة أيضا «الدائل» ولا يرد هذا المصطلح في النقوش، ولكنه معروف في المصادر العربية ككلمة حميرية ومعروف أيضا في اللهجة اليمنية. وهناك نقوش تذكر كبير السقي (ك ب ر س ق ي ت).



الشكل ٧: النقش RES 4907، عن von Wissmann 1982: 67

وهذا نقش (الشكل ٧) من القرن الثامن ق. م. واحة رغوان (RES 4907, von Wissmann 1982: 67-68) يعطي حق السقي بناء على مرسوم من مجلس مدينة عرارتم (الاسأحل في وادي رغوان).

النص:

١. ب ي د إ ل/ وع
٢. م ذ ر أ/ ص د ق/ ب
٣. س ق ي/ ن خ ل ه
٤. م ي/ ب ن/ ذ ت/
٥. ح ر ر ت ن/
٦. ب ف ت ح/ م
٧. س ود/ ع ر ر ت
٨. م/ م د ر ر م/ د د
٩. أ م ر/ س م ع م
١٠. ي ذ م ر إ ل/ و
١١. م ه ق م م/

الترجمة:

١. بيد إيل وعم ذرأ
٢. حصلا على حقّ
٣. ري نخيلهما
٤. من تلك قناة الري
٥. بناء على مرسوم
٦. أصدره مجلس
٧. مدينة عرارتم:
٨. مراقب الري
٩. داد أمر. شهد على ذلك
١٠. يذمر إيل و
١١. مهاقيم

وهذا نقش آخر من جدفر بن منيخر (كاهلم السبئية) في واحة رغوان (اللوحة ٣)، وهو محفوظ الآن في المتحف الوطني بصنعاء (YM 18 352)، ويمكن تأريخ النقش إلى القرن الثامن ق. م. ، والنص مكتوب بخط المحراث ونشر النقش نشرا أوليا من قبل منير عربش (عربش وأدوان ٢٠٠٧: ٨٤–٨٥)، والنص عبارة عن شهادة بمنح حقوق الري لشخص يدعى إيل كرب بن يهبر، ويظهر من هذا النقش أن مؤسسة الري كانت بيد المكرب السبئي، كما يظهر هذا النص أن المكرب سمهو ريام هو الذي كان يصادق على توزيع المياه، والترجمة هنا تختلف عن ترجمة منير عربش.

النص:

١. إ ل ك رب/ ب ن/ ي ه ب ر
٢. ق ي ن/ أ ل م ق ه/ وس م ع

٣. ذ أ ل م/ وس م ه ع ل ي/ ه ق ن ي

٤. أ ل م ق ه/ ص ب ح م و

٥. ي وم/ ص د ق/ ب ن خ ل ه و

٦. و م ن خ ي ه و/ ب ف ت ح/ س

٧. ب أ/ وس م ه ر ي م/ وم س

٨. ود/ ع ر ر ت م/ وك ت ل

٩. م/ وم وي/ س ر وي/ ب ن

١٠. ع ر ر ت م/ وك ت ل م/ ب

١١. ع ل ي/ ه ر ب ن/ وس م ه ر

١٢. ي م/ م د ر ر م

الترجمة:

١. إيل كرب بن يهبر

٢. الموظف الإداري للإله المقه وللإله سميع

٣. ذو أليم وسمهوعلي قدّم لخدمة

٤. ألمقه (الشخص المدعو) صبحهمو

٥. عندما حصل على حقوق الري لمزارع نخله

٦. ولاستخدام قناته الخاصة للري، بناء على مرسوم

٧. من (دولة) سبأ ومن سمهو ريام ومجلس

٨. مدينة عرارتم ومجلس مدينة كتلم

٩. (وحصل على حق استخدام) مجرى مياه الواديين

١٠. الذي يربط عرارتم وكتلم بـ (بمنطقة)

١١. هريبان. وسمهو ريام هو

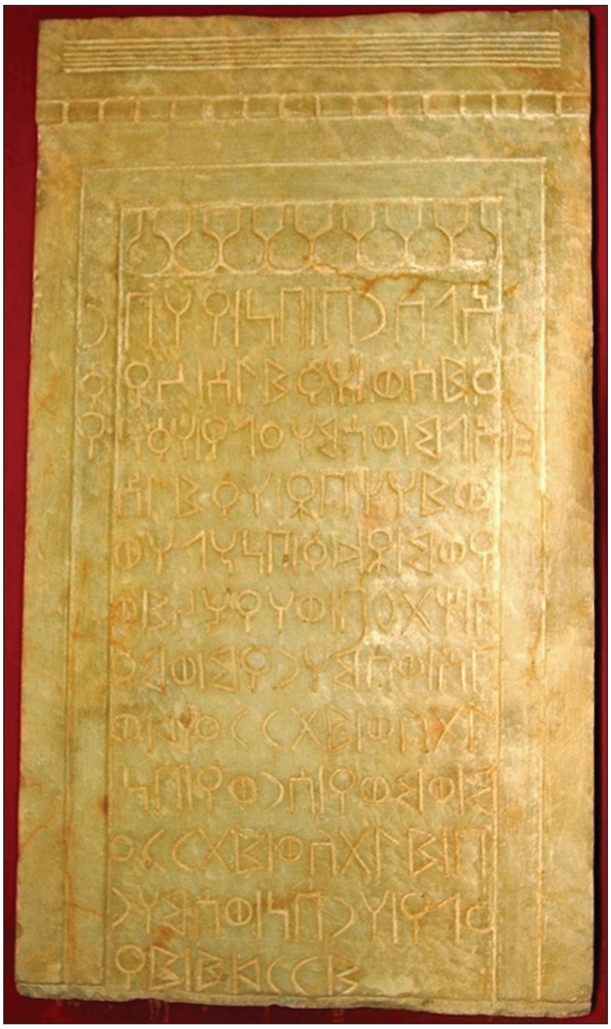
١٢. مراقب الري.

أنواع مختلفة من السدود

إضافة إلى العرم وهو على ما يبدو الاسم الخاص في النقوش لسد مأرب الكبير هناك عدة أنواع من السدود أهمها:

المأخذ (م أ خ ذ): هذا النوع من السدود السبئية ما يزال معروفا في اليمن تحت اسم المأخذ، ويعرفه مطهر الإرياني بأنه «حاجز قوي يبنى بالحجارة المشذبة ويقوى بكبسة من القضاض (الإرياني ١٩٩٦: ٣٠-٣١)، هو الأكثر ذكرا في النقوش (RES 4085/2, RES 3911/2, RES 3967/1, RES 4775, Fa 70, RES 2650, RES 3686)، وقد كان المأخذ منتشرا في كافة أنحاء البلاد. وتجدر الإشارة إلى أن هذه السدود عادة تذكر بأسمائها، ففي نقش من معبد أوام يذكر مأخذ يفيد (م أ خ ذ/ ي ف د) في خولان (إرياني ١٩٩٠، إرياني ٢/٧، ٣). ويبدو أنه كان ذا أحجام مختلفة، ويترجم المأخذ أحيانا: «سد تحويلي» أو «خزان». وهذه نماذج من هذا النوع من السدود:

١) ويرد هذا المصطلح ابتداء من القرن الثامن ق. م. في نقش من مأرب (متحف مأرب رقم .BAR 8 انظر Daum et al. 1999: 280) كتب بطريقة خط المحراث:



اللوحة ٣: النقش YM 18 352



اللوحة ٤: سد تحويلي في الواحة الجنوبية



اللوحة ٥: سد تحويلي في الواحة الجنوبية

النص:

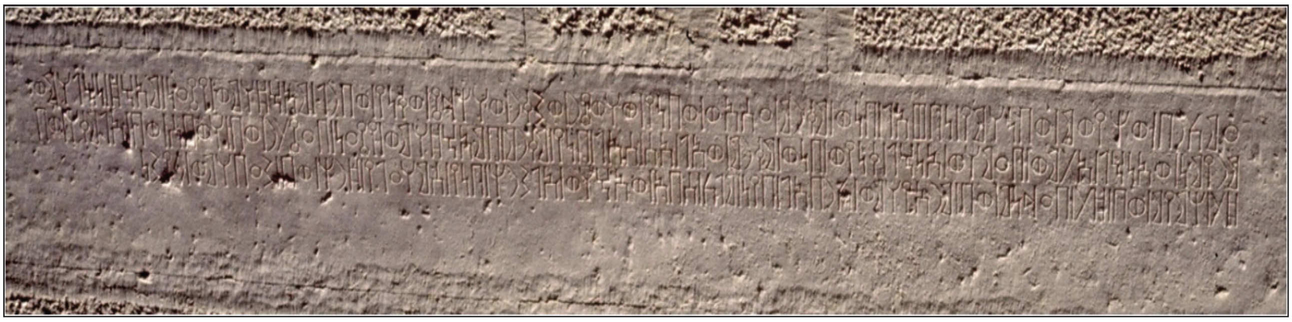
١. ل ي ح ي/ ع س ي
٢. و ب ن ي/ م أ
٣. خ ذ ه و

الترجمة:

١. ليحي تملّك
٢. وبني
٣. سدّه التحويلي

٢) سد تحويلي في الواحة الجنوبية (اللوحتان ٤، ٥): يتحدث النقش عن بناء سد تحويلي على أطراف وادي ذنة إلى الجنوب الشرقي من البوابة الجنوبية، من قبل شعب بني مقار، ويثبت ملكيتهم لهذا السد. يعد هذا المأخذ نموذجا جيدا للسدود التحويلية العديدة الموجودة في الواحتين الشمالية والجنوبية، والتي نعرف بعضها من البقايا الأثرية وبعضها الآخر من خلال النقوش، دون أن نستطيع تحديد مكانها. تم الكشف عن هذا السد التحولي في الواحة الجنوبية في منين الحداد في الواحة الجنوبية في العام ١٩٩٨، ضمن حفرية إنقاذية قام بها المعهد الألماني للآثار، وأشرف عليها محمد مرقطن وفيرنر هيربرغ، ولم تنشر نتائج هذه الحفرية بعد. ويتشكل هذا السد من واجهة مبنية من الحجارة المهندمة، وتتجه إلى الجنوب، وعرضها ٩،٦٠ مترا، وارتفاع المبنى ٧،٥٠ مترا ويتكون من ٢٤ مدماكا وهو أشبه بالبرج وبني بشكل حرف (T)، وارتفاع باب المصرف ٩ مداميك (٢، ٤٥ مترا) وقد الكشف عن مرحلتين لهذا السد. والمرحلة الثانية موثقة في نص يتحدث عن بناء هذا السد وملكيته، ويمكن تأريخ المرحلة الثانية للقرن الثاني ق. م. إذ يذكر النقش الملك السبئي كرب إيل بين والذي حكم من سنة ١٠٥-٩٠ ق. م. تقريبا.

والنقش يحمل رقم (DAI 1998-Wasserbau 1). طول النقش ٢،٦٠ مترا وارتفاعه ٣٠ سنتمرا وقد طلي بالأحمر (اللوحة ٦).



اللوحة ٦: النقش DAI 1998-Wasserbau 1

وقراءة النص كما يأتي:

١. ع م ك رب/ وح ي وم/ وب ن ه م ي/ ن ب ط إ ل/ ب ن و/ م ق ر م/ ع س أ و/ وب ن ي/ وه وث ر/ وش ق ر/ وه ح د ث/ وق ن ي/ وب رج/ م أ خ ذ ه م و/ ي ث ع ن/ م أ خ ذ/ ن خ ل ه م و

٢. م ر ي م ن/ وأ ن خ ل/ أ ت م و/ ب ع م ه و/ أ ن خ ل/ ق ن ي و/ ب ن و/ م ق ر م/ وأ ل/ أ س/ س أ ل/ ب ن ي/ م ق ر م/ ب م أ خ ذ ه م و/ ي ث ع ن/ ب ع ث ت ر/ وب/ ه وب س/ وب/ أ ل م ق ه/ وب

٣. ذ ت/ ح م ي م/ وب/ ذ ت/ ب ع د ن م/ وب/ م ر أ ي ه م و/ ك ر ب إ ل/ ب ي ن/ م ل ك/ س ب أ/ وأ خ ه و/ إ ل ش ر ح/ ب ن ي/ س م ه ع ل ي/ ذ ر ي ح/ وب ش ع ب ه م و/ ف ي ش ن

ترجمة النص:

١- عمي كرب وحيوم وابنهما نبط إيل (من قبيلة) بنو مقارم قاموا بعمل وبناء (هذا السد) وضعوا له أسس متينة ورفعوا ودشّنوا وحازوا وتملَّكوا سدهم التحويلي (المسمى) يثعان، السد الخاص ببساتين نخلهم (المسمى).

٢- مريمان، وبساتين النخل التي تملّكوها مرفقة به، هذه البساتين تملّكها بنو مقارم. ولا يحق شرعا لأحد أن يُسائل بني مقارم فميا يخص سدّهم التحويلي يثعان. بجاه عثتر وهوبس وألمقه.

٣- وذات حميم وذات بعدان وبسيديهم كرب إيل بين ملك سبأ وأخيه إيل شرح بني سمهوعلي ذريح وبجاه شعبهم فيشان.

المأجل (م أ ج ل): وهذا النوع من السدود السبئية أو الأحواض (المعجم السبئي، ٣) معروف في اليمن اليوم بمعنى صهريج، يبنى على الينابيع (الإرياني ١٩٩٦: ٢٧-٢٩).

الكريف (ك ر ف): وهو بركة كبيرة لتخزين المياه، وما يزال المصطلح يستخدم حاليا (المعجم السبئي، ٧٩).

منشأ: لدينا نص زبوري من القرن الثاني الميلادي من مجموعة المتحف الوطني في صنعاء، يتحدث فيها شخص عن توزيع المياه في مشأ (م ن ش أ) بناء على قرار ملكي (YM 11 344).

الزراعة المروية وأهميتها في بنية الدولة

مما لا شك فيه أن شريان الحياة الأساسي الذي رافق ظهور الممالك العربية الجنوبية كان يتمثل بالزراعة المروية وما ارتبط بها من منشئات مائية، وفي هذه المرحلة انتقل الإنتاج الزراعي إلى مراحل متقدمة. وتزداد معلوماتنا عن الزراعة منذ بداية الألف الأول ق. م. ، إذ تزودنا النقوش بمعلومات وافرة عن أنواع الفواكه والمحاصيل الزراعية، وبعض النباتات الطبية والبرية. كانت مناطق الواحات مليئة بمزارع النخيل والعنب، وكانت تزرع فيها الحبوب بجميع أنواعها، وخاصة الشعير والقمح والجلجل على نطاق واسع، والدخن والذرة والطهف، وكانت أشجار العلب والبان تروى من السدود، وكانت المراعي تغطي مساحات واسعة من الجبال، وكذلك أطراف الواحات. وهذه قائمة بالنباتات المذكورة في النقوش:

الأشجار: النخل (ن خ ل) ونوع آخر من النخل يسمى (ت ل)، وترد عدة مصطلحات للدلالة على العنب وهي: وي ن، ع م د، ح ب ل ت، ع ن ب. ويرد في النقوش أيضا الأثل (أ ث ل)، السدر أو العلب ويسمى في النقوش (ع ل ب)، والبان (ب ون، أ ب ون)، والأرك (أرك)، اللبخ (ل ب خ)، والشجرة الصحرواية الذفراء (ذ ف ر أ) وكذلك الأسل (أ س ل).

الحبوب والخضروات: وهذه ترد في النقوش المسندية، الحبوب (ح ب)، البر (ب ر)، الذرة (ج ذ ذ ت)، البصل (ب ص ل)، وهذه ترد في النقوش الزبورية المكتوبة على العسيب: العلس (ع ل س)، الشعير (ش ع رم)، البكور، نوع من الشعير (ذو صفين معروف بنفس الاسم في مأرب ومناطق شبام كوكبان)، الوكير نوع من الذرة (وك ي ر)، الكرسنة (ك ش ن ي) وتعرف في المصادر العربية كالتالي: والكشنى هي الكرسنة، القُضَب وهو البرسيم (ق ض ب)، الطهف، نوع من الحبوب (ط ه ف)، الجلجل، الجلجلان وهو السمسم (ج ل ج ل، ج ل ج ل ن)، العدس أو البلسن (ب ل

س ن) وكذلك بقلة الهَرِمة (ه ر م) أو البقلة الحمقاء في المصادر العربية وهي درفاس أو ذنب الفرس في اليمن وهي الفرفحينا أو البقلة في بلاد الشام ومصر.

النباتات الطبية والعطرية: ترد فقط في النقوش الزبورية وهي: الثفاء (ث ف أ م) هو حب الرشاد ويرد أيضا تحت اسم الحلف (ح ل ف م) وهو الحرف أيضا في المصادر العربية، المومة (م م ت) وهو بذر الكتان، الفقاح (ف ق ح م) وهو الفقاح في المصادر العربية أشبه بالأقحوان والبابونج، الشوعة (ش ع م) وهي حب البان في المصادر العربية، ويرد أيضا الخردل (خ ر د ل ن)، وكذلك الحنظل (ح ن ض ل)، والحمر أو التمر هندي (ح م ر)، وتذكر هذه النبات في إطار إرساليات تجارية.

والنباتات العطرية تذكر في النقوش المسندية والكثير منها تذكر على مباخر ومنها: اللبان (ل ب ن ي)، المر (م ر)، والكمكم (ك م ك م)، الضرو (ض ر و)، الحذك (ح ذ ك)، القسط (ق س ط)، اللادن (ل د ن)، الذهب (ذ ه ب)، نوع من الطيب، البلسم (ب ش م)، النعم (ن ع م)، نوع من الطيب، السليخة (س ل خ) وهي القرفة، وقصب الذريرة (ق ن و)، وكذلك يذكر المسك الذي يتم الحصول عليه من غزال المسك (أ م س ك).

ولعل تأثير الزراعة المروية قد أدى إلى ظهور ما يمكن أن نسميه هذه الفترة بالزراعة المتخصصة ومن تظهر إشارات في النقوش إلى إلى أنواع المزارع، وما كان يزرع فيها ومنها «م ش ي م ت»، والتي تعني «أرض زراعية، حقل»، وعيشت (ع ش ت) والتي تعني «أرض زراعية، أو الأرض التي تزرع بالحبوب» (شرف الدين ١٨)، والأرض التي كانت تروى عن طريق السدود أو القنوات فتسمى «س ق ي، م س ت ق ي» (المعجم السبئي، ١٢٨) ومزارع النخل تسمى أنخال (أ ن خ ل)، والكروم أيوان (أ ي ون) وغيرها.

لقد قام الباحثون في اقتصاد العصور القديمة بتطوير نظريات خاصة في محاولة لفهم التطورات الإقتصادية في الحضارات القديمة (Silver 1985, Smith 2004: 73-102)، وفي إطار الحديث عن بلاد ما بين النهرين سادت لفترة طويلة ما يسمى من قبل المفكرين الماركسيين بنمط الإنتاج الآسيوي، وكذلك نماذج أشكال الدولة المرتبطة بالعوامل الإقتصادية مثل المدينة-المعبد، واشتراكية المعبد، والدولة الإستبدادية (Yoffee 1995: 281-311).

العامل الأساسي الذي لعب دورا مهما في التطور الاجتماعي هو الزراعة وبالذات الزراعة المروية والتي تشكل القاعدة الأساسية لكافة ممالك جنوبي الجزيرة، ويليها التجارة الدولية التي كان لها دور أساسي في تطور الدولة.

وترتبط الزراعة بتربية الحيوان، كالبقر والجمال والحمير والبغال، فإضافة إلى ذكر كثير من الحيوانات في نقوش المسند في إطار الغنائم في المعارك الحربية ما بين الممالك المختلفة تذكر الحيوانات التي كانت تقدم كأضاحي أو تحريم دخول الحيوانات للمعابد. وتزودنا النقوش المكتوبة بخط الزبور على العسيب بمعلومات مهمة عن عقود خاصة لرعي الماشية وعن استخدام الحيوانات العوامل مثل الجمال والنوق والثيران. وقد كانت القاعدة الأساسية في مجتمع جنوبي الجزيرة تتكون من الفلاحين (Beeston 1986: 1-6) الذين كانوا يعيشون في أرضهم ومزارعهم وقراهم ويرتبطون بمراكز مدنية.

واحة مأرب كانت تنتج الغذاء الكافي لأهل المنطقة بل على ما يبدو كان عندها القدرة من تغطية المتطلبات الكافية لتزويد القوافل. وتحدثنا بعض النقوش خاصة المكتشفة حديثا في معبد أوام عن سنوات المحل وانقطاع الأمطار لسنوات، وعن جفاف الأشجار والمراعي والنبات، وهي ترد في إطار قرابين نذرية للإله المقه أو صلوات استسقاء.

٢: التجارة الدولية ودورها في تطوُّر الدولة

في حين كانت الزراعة المروية الركيزة الأساس التي قامت عليها الدولة، وكانت التجارة الدولية تشكل الركيزة الثانية، والتي كان لها الأثر المهم في قيام الدولة، ولكن الأهمية الأساسية للتجارة الدولية تكمن في مسألة تطور الدولة، ولعل الصراعات الأساسية التي قامت بين الممالك العربية الجنوبية قد كانت من أجل السيطرة على الطرق التجارية وبخاصة طريق اللبان.

وتجدر الإشارة إلى أن النقوش المسندية لا تذكر كثيرا النشاطات التجارية، وقد يعود ذلك إلى طبيعة النقوش، ولكن هناك إشارات مهمة عن التجارة في النقوش الزبورية المكتوبة على العسيب (Ryckmans et al. 1994) ولكنها لا تتحدث عن التجارة الدولية. وتحتوي المصادر اليونانية والرومانية على معلومات مهمة عن تجارة الجزيرة العربية. وتجدر الإشارة إلى استخدام النقود الخاصة بهذه الممالك والذي طورته ابتداء من القرن الرابع ق. م. والذي بقي في الاستخدام حتى القرن السادس الميلادي (Munro-Hay 2003).

على ما يبدو أن الطريق التجاري ما بين جنوبي الجزيرة وبلاد الشام قد بدأ استخدامه في نهاية العصر البرونزي الأخير، وفي نحو القرن الحادي عشر ق. م. بدأت تظهر محطات تجارية في شكل قرى في النقب على طريق غزة، وفسره علماء الآثار في إطار محطات الطريق التجاري القادم من الجزيرة (Holladay 1995: 383-387، أيدينز وويلكينسون ٢٠٠١: ٦٤–٦٨). وكان من غير الممكن قطع هذه المسافات الطويلة عبر الجزيرة العربية (Potts 1999: 45-80) بدون تدجين الجمل (بوليت ٢٠٠٩: ٥٩–٩١). وكان لاستخدام الجمل العامل الأساس في تطوير التجارة الدولية وبخاصة تجارة البخور والتوابل والمواد العطرية الأخرى (بوليت ٢٠٠٩: ٩٣–١٢٥، Groom 1981)، وكذلك احتكار تجارة القرن الإفريقي، ومنها العاج والذهب والبضائع الهندية وايصالها إلى مصر وبلاد المتوسط، وما قصة ملكة سبأ الواردة في الكتاب المقدس والقرآن الكريم، والمعروفة باسم بلقيس الذي اخترعه الاخباريون العرب وزيارتها إلى سيدنا سليمان، إلا انعكاسا لهذه التحولات التجارية وسيطرة سبأ على الطرق التجارية المؤدية إلى بلاد الشام في بداية الألف الأول ق. م. وتذكر الكتابات الأشورية قافلة سبئية كانت سلبت قرب عانة على الفرات في طريقها إلى أشور (اسماعيل ٢٠٠٥: ٥٥–٦٧، Liverani 1992: 111-115).

وهنا، يمكن القول إن التجارة الدولية هي السبب الرئيس في توسع الدولة في جنوبي الجزيرة ابتداء من القرن الثامن ق. م. أو ما قبل ذلك، فتخبرنا النقوش عن أول توسع للدولة السبئية في أيام يثع أمر بن يكرب ملك (نحو ٧١٥ ق.. م) والذي سيطر على معظم أجزاء جنوب غربي الجزيرة من نجران إلى عدن (DAI Ṣirwāḥ 2005-50)، ونجد ما يشابه ذلك في نقش النصر للمكرب السبئي كرب إيل وتر بن ذمر علي (نحو ٦٨٥ ق. م.) ولعل الهدايا التي كان يقدمها السبئيون لملوك الدولة الآشورية يمكن رؤيتها في إطار محاولة إرضاء الدولة الأشورية والتي كانت تسيطر على بلاد الشام وتتوسع باتجاه مصر (Eph'al 1982: 87-89). وفي إطار التجارة الدولية أسس السبئيون محطات تجارية في كافة أنحاء اليمن وامتد نفوذ الدولة السبئية في القرن الثامن ق. م. إلى تهامة كما نعرف ذلك من موقع الهامد، وأُسست محطات سبئية في الحبشة رافقها عبادة الإله القومي السبئي المقه ويمكن رؤية ذلك في النقوش التي تركها السبئيون هناك ومنهم أناس من مأرب (Phillipson 1998). ويبدو أن السبئيين قد توسعوا أيضا باتجاه شمال الجزيرة وعقدوا تحالفات مع الممالك الناشئة في إطار التجارة الدولية مثل تيماء.

وفي القرنين الرابع والثالث ق. م. انحسر نفوذ السبئيين إلى مناطقهم التقليدية أي مأرب والهضبة اليمنية، وبرزت قوة الدولة المعينية والتي سيطرت على مناطق الجوف وأسست محطات تجارية في وسط وشمالي الجزيرة، مثل دادان (العلا) وعلى ما يبدو كان لها محطات تجارية في تيماء وعَمّان وصور ومحطة أساسية في غزة وفي ديلوس في اليونان وفي مصر. وتخبرنا النقوش عن الصراع ما بين دولة معين وسبأ في هذه الفترة. وفي تلك الفترة امتد نفوذ دولة قتبان إلى مناطق عدن وأصبحت تنافس دولة سبأ وسيطرت على بعض مناطقها في وادي الجوبة (جام ٥٥٥). وأما حضرموت فقد توسعت باتجاه الشرق لإحكام السيطرة على بلاد انتاج اللبان في سأكلان أي مناطق ظفار وأسست ميناء خور روري في عُمان حاليا (زارنس ٢٠٠١: ٦٢–٧٢).

وتظهر مطامع الدول المحيطة في السيطرة على الطرق التجارية ومنها الحبشة والتي بدأت بالسيطرة على أجزاء من تهامة منذ بداية القرن الأول الميلادي وبقيت الأمور في أخذ ورد حتى سيطرت الحبشة على اليمن نهائيا في بداية القرن السادس الميلادي. وكذلك كان الأمر بمحاولة

سيطرة الرومان على الطريق التجاري في حملة إليوس جالوس الفاشلة (٢٥ ق. م.) على بلاد العربية السعيدة. وكان لتطور تجارة القوافل الدولية الأثر البارز في ظهور وتطور ما يعرف بمدن القوافل في وسط وشمالي الجزيرة، وكذلك ممالك القوافل مثل مملكة كندة، ولا يجوز إطلاق مصطلح ممالك القوافل على ممالك جنوبي الجزيرة مثل سبأ وقتبان لأنها قامت في البداية كمجتمعات زراعية قبل أن تتحول للتجارة.

ولعل التطورات الاقتصادية والاجتماعية التي رافقت اكتشاف حركة الرياح الموسمية، والتي أدت إلى تحولات في استخدام الطرق التجارية البرية لحساب الطرق البحرية، قد ساعدت في ظهور الدولة الحميرية (سبأ وذي ريدان) في الهضبة اليمنية، والتي أمسكت بزمام الأمور في نهاية القرن الثالث الميلادي، وسيطرت على معظم جنوب غربي الجزيرة، إضافة إلى أجزاء من وسطها (Gajda ٢٠٠٩، Yule ٢٠٠٧). وابتداء من القرن الخامس الميلادي يبدو أن مكة قد سيطرت الطريق التجاري ما بين اليمن والشام (كرونه ٢٠٠٥، Simon 1989).

رابعا: البنية الاقتصادية والاجتماعية والنواة الأولى للدولة

لا يوجد أي دليل على استمرارية ثقافة وبنية العصور البرونزية الإقتصادية والإجتماعية، إلاّ بشكل محدود، تماما كما هو الأمر في بلاد الشام ومناطق أخرى من الشرق الشرق القديم؛ وبالتالي، يمكن القول إن الدولة قد نشأت في جنوب غربي الجزيرة نتيجة تراكمات اقتصادية، رافقتها تطورات اجتماعية وثقافية محلية، أعطت دفعة قوية بقدوم مجموعة الشعوب العربية الجنوبية (السبئيون، الحضارمة والقتبانيون والمعينيون والنشانيون) من الشمال، في حركات بشرية متفاوتة زمنيا نحو منتصف الألف الثاني ق. م. على أقل تقدير وربطوا هذه البلاد بأرض الرافدين وبلاد الشام عن طريق نشاطاتهم التجارية. وأما الدفعة القوية الأخرى لنشوء الدولة في هذه الديار فكانت تطوير مؤسسة الري في النصف الثاني من الألف الثاني ق. م والتي كانت مترافقة مع ظهور هذه الشعوب.

وكان الاستخدام الواسع للري قد أدى إلى تطور نوعي في الزراعة وإلى ظهور فائض في الإنتاج والغذاء. وهنا لا بدّ من التشديد على أن نشأة المجتمع في هذه الديار كانت قبل استخدام مؤسسات الري الضخمة، وهذا قد ترافق مع بدايات استخدام الزراعة. ولكن استخدام مؤسسات الري الضخمة قد أدت إلى زيادة استقرارالإنسان في مستقرات بشرية وقرى زراعية منتشرة في كافة أنحاء أطراف رملة السبعتين؛ وبالتالي، ازداد عدد السكان في المنطقة. ومع ازدياد استخدام الري ظهرت لاحقا المدن، وما رافقها من ظهورللحرف، حيث ظهرت عدة مراكز حضرية في تلك الوديان مثل مدن الجوف ووادي رغوان ومأرب الخ. ويمكن القول بأن نواة التنظيم الاجتماعي-الإداري الأولى التي رافقت مؤسسات الري الضخمة، هي تلك التي تأسست للأشراف على تنظيم الري في مراحل نشأته المبكره، ولعل هذه المجموعة الإدارية قد تبلورت لاحقا إلى مؤسسة اجتماعية-اقتصادية، كان لها الدور الأساس في قيادة التحولات الاجتماعية، كونها الطبقة صاحبة المهارات في المجتمع. وبالتالي، يمكن القول إن تلك المراكز الحضرية قد شكّلت الإنطلاقة الأولى لفكرة الدولة كتنظيم سياسي لإدارة شؤون تلك المجتمعات، وبالتالي فقد أصبحت هذه الوديان مناطق سيادة لتلك الممالك المختلفة، التي توسعت لاحقا باتجاه المناطق الجبلية وسيطرت عليها كما تخبرنا النقوش السبئية. إذاً، فقد كانت سيطرة الإنسان في جنوبي الجزيرة على مياه الفيضان في وديان الجوف وأذنة.. إلخ.. العامل الأساسي في نشأة الدولة، ويمكن مقارنة ذلك بمسألة تحكم الإنسان بمياه الفيضان لدجلة والفرات في بلاد ما بين النهرين، وبمياه النيل في مصر، هذه المسألة التي لعبت دورا أساسيا في نشأة الدولة وتطورها في العراق ومصر.

وكانت أصغر وحدة في تشكيلة المجتمع العربي الجنوبي تتكون من البيت (ب ي ت)، وفي زمن الممالك العربية الجنوبية أصبحت الهجر «ه ج ر» تشكل اللبنة الأساسية في البنية الاقتصادية-الاجتماعية للمجتمع، وظهرت في أشكال مختلفة، وتطورات مختلفة منها الهجر عاصمة المملكة والهجر مركز الشعب ومنها الهجر «المدينة-الدولة» (المرقطن ٢٠٠٨: ١٢٢-١٢٥). وأصبحت هناك رابطة

لعدد من الشعوب في داخل المملكة الواحدة. وبرزت بعض الشعوب، مثل شعب سبأ لتسيطر على أراض واسعة، وأصبحت هناك فئات ذات نفوذ واسع في البنية السياسية داخل الدولة السبئية مثل الأسرة الملكية ذي خليل السبئية، وشعب فيشان الذي كان متحالفا مع شعب سبأ في تشكيلة الدولة. وكان حاكم الشعب يعى أحيانا «ملك»، أو «كبير» أو «مقتوي» وهو لقب إداري وعسكري أيضا، وفي الفترة السبئية المتوسطة كان حاكم الشعب يدعى «قيل» (Beeston 1979: 115-123, Beeston 1986: 1-6).

ليس لدينا دليل على أن الحضارات والدول في العصور القديمة كانت تقوم بناء على قرار سياسي، بل إن التطورات الاقتصادية والاجتماعية تستوجب ظهور طبقة إدارية لحياة مجموعة بشرية معينة. ولكن الذاكرة الشعبية لمجموعة بشرية ما، قد تحتفظ لنا بمعلومات عن نشأة الكون أو نشأة الملكية، كما نعرف مثلا من النصوص المسمارية بأن الملكية قد هبطت من السماء في مدينة كيش. وهناك نماذج مختلفة في العصور القديمة تظهر من خلالها تجليات التكوين الإجتماعي أو النواة الأولى للدولة، مثل مسألة العقد الإلهي ما بين الإله يهوه والعبرانيين، أو نظام الأمفيكتوني المعروف في بلاد اليونان قبل تطور نموذج المدينة-الدولة (البولس).

ويبدو أن الممالك العربية الجنوبية قد ارتبط ظهورها بميثاق أو عهد مع عثتر المعبود الأعلى في جنوبي الجزيرة، والذي فيه ينظّم فيها المعبود عثتر العلاقة ما بين كل شعب مع المعبود القومي للمملكة المعنية، وأفضل المعلومات لدينا هي عن مملكة سبأ والتي ارتبطت فيها السلطة السياسية مع المعبود القومي لها المقة بإشراف المعبود عثتر. وارتبطت تشكيلة الدولة كما هو الحال في الشرق القديم بأيديولوجية دينية، فقد كان الحاكم في ممالك جنوبي الجزيرة هو الإبن البكر للمعبود القومي للمملكة، فقد كان الحاكم السبئي «بِكْر الإله المقه»، والحاكم القتباني « بِكْر الإله عم»، والحضرمي «بِكْر الإله سيان»، والمعيني «بِكْر الإله ود» وهكذا. ولم يكن الحاكم في هذه الممالك إلها كما هو حال الفرعون المصري، وما تذكره النقوش عن تقديم قربان لأحد ملوك أوسان المتأخرين ما هو إلاّ ظاهرة معزولة، وقد يكون تأثيرا هلنستيا. وكان السبئيون يصفون أنفسهم على أنهم أبناء المقه (ول د ال م ق ه) والقتبانيون والحميريون هم أبناء عم (ول د ع م) وشعب حضرموت هم أبناء سيان (ول د س ي ن) والمعينيون أبناء (ول د ود) (Ryckmans 1971: 24-26. Beeston 1972: 256-268).

إذاً، كان تأسيس الدولة في هذه الديار قد ارتبط بميثاق ما بين الشعب والحاكم من جهة والمعبود الأعلى لحضارات الجنوب عثتر إضافة إلى المعبود القومي للمملكة من جهة أخرى. طبعا لا نعرف متى حدث ذلك بالضبط، ولكن قد يكون ذلك قد حدث في نهاية الألف الثاني ق. م. ، ويمكن رؤية هذا الميثاق في صيغة في النقوش اتفق على تسميتها بـ «الصيغة الوحدوية السبئية»، وتظهر هذه الصيغة كثيرا في النقوش السبئية المبكرة، وبخاصة في نقوش المكربين، وهي فترة تكوين وتوحيد الفئات الإجتماعية في بوتقة الدولة السبئية (von Wissman 1982: 52-56, Höfner 1957: 77-85)، وكان على المكرب أن يقوم دائما بتجديد هذا الميثاق على ما يبدو سنويا.

وتظهر من خلال ما يسمى بالصيغة الوحدوية بأن هناك أربعة أنواع أخرى من المواثيق، التي على ما يبدو قد قام الإله عثتر بتنظيمها للفئات الإجتماعية المختلفة، والصيغة الغالبة هي كالتالي:

ي وم/ ه وس ت/ ك ل/ ج وم/ ذ إ ل م/ وش ي م م/ وذ ح ب ل م/ وح م ر م «يوم نظّم (فئات المجتمع): كل قوم ذو إله وإله حامي وكل قوم أصحاب ميثاق وأصحاب عهد» (RES 3945).

يبدو أن ميثاق سبأ مع الإله المقه هو المصطلح «أخوة» (أ خ وة) الوارد في النقوش خاصة عند التعبير عن سيطرة سبأ على الممالك الأخرى في نقوش يثع أمر وتر وكرب إيل وتر، بأن الأرض المفتوحة هي أرض المقه وأن الشعوب المتحالفة مع سبأ هي ضمن ميثاق «أخوة المقه»، ويرد في النقوش أيضا «ول د/ ال م ق ه/ وج وم» (RES 3945/6) «ولِد المقه والأقوام الأخرى، أي الشعوب المتحالفة مع سبأ».

ومن هنا، جاء شعار الدولة: الإله، الحاكم، الشعب، وهو يشابه إلى حد ما شعار الملكية العربية: الله الوطن

الملك. وهو في سبأ: المقه (المكرب) كرب إيل (الشعب) سبأ (Grohmann 1963: 121-22; Ryckmans 1951). وهنا يظهر أن شرعية الحكم في هذه الممالك مستمدة من الإله.

ارتبطت مؤسسة الري منذ البداية بالحاكم، وقد أصبحت في ظل الممالك مؤسسة ترعاها الدولة، وانتشرت تقنيتها بشكل لم يسبق له مثيل. وتخبرنا النقوش أن مسؤولية إدارة المنشئات المائية كانت دوما بيد كبير الشعب أو المدينة أو القيل. ولعل المثل الحميري الذي أورده الهمداني كالتالي «دو هل قيلا ذي دو جر غيلا» وقد وضعه الهمداني بعربيتنا كالتالي «ليس بملك من لم يقدر على فتق العيون وجَرّ الغيول» خير برهان على ذلك (الإكليل، الجزء الثاني، ٢٦٣).

خامسا: مؤسسات الدولة وتطورها

لقد مرت تشكيلة الدولة بمراحل مختلفة ولم تكن حدثا عابرا بل كانت خلاصة عملية تطور لعلاقات اقتصادية-اجتماعية معقدة تميزت بمظاهر مختلفة أدت إلى ظهور الدولة لإدارة أمور المجتمع، ويمكن تلخيص أهم سمات الدولة كما يأتي:

١. المؤسسة الإقتصادية والإجتماعية: مؤسسة الري والتي أدت إلى ظهورالزراعة المتطورة والمتخصصة وإفرازاتها، كالحرف والصناعة، ومظاهرها كالمباني الضخمة كالتحصينات والسدود والمعابد والقصور. ويضاف إلى ذلك التجارة الدولية ومؤسسة الضرائب والنقد. والتشكيلة الإجتماعية تتمثل في ظهور المستقرات البشرية وخاصة الـ «هجر» وهي المدينة ومركز الشعب وهي وحدة اجتماعية واقتصادية في آن واحد.

٢. المؤسسة السياسية: الملكية ونظام الحكم تتمثل هذه المؤسسة بالمَلكية أو سلطة الحاكم المستمدة من مواثيق إلهية تربط الحاكم بالإله القومي للدولة إضافة إلى إدارة الدولة. في الفترة السبئية القديمة كان الحاكم السبئي يدعى مُكرّب ومن هنا تدعى هذه الفترة أيضا بفترة حكم المكربين. والمُكرِّب هو الحاكم الذي كان يحكم تحالفا من شعوب مختلفة في إطار دولة موحدة ويطلق عليها الفريد بيستون «كومنولث»، وقد انتهت النظرية القائلة بأن المكرب كان بمثابة «الحاكم-الكاهن» (Höfner 1957: 77-85) والذي قورن بالحاكم السومري «انسي» والذي يترجم عادة بالحاكم-الكاهن المعروف في بلاد ما بين النهرين (Diakonoff 1991a: 67-83)، وكان حاكم الشعب أو القبيلة في وجود المكرب في هذه الفترة غالبا ما يحمل لقب «كبير» أو «ملك»، وبالتالي فإن المصطلح «ملك» لم يكن استبدالاً لـ«مكرب»، أي أنه في المرحلة السبئية القديمة كان الحاكم يدعى «مكرب» وابتداء من القرن الرابع ق. م. أصبح الحاكم في سبأ يدعى «ملك»، فقد كان هناك ملوك في الفترة نفسها التي كان يحكم فيها مكربون. وقد ظهر لقب مكرب في كل من دولة سبأ وحضرموت وقتبان ولم يظهر في دولة معين لأسباب نجهلها. ولعل مسألة مدة حكم وعدد المكربين الذين حكموا الممالك المختلفة ما تزال مليئة بالثغرات.

وكان المكرب يقف على رأس هرم الدولة ويمثل حلقة الوصل ما بين الشعب والإله، وتخبرنا النقوش عن نشاطاتهم الحربية والدينية، ولعل من أهم النشاطات الدينية التي كان يقوم بها المكرب السبئي إضافة إلى توحيد البلاد والشعوب هو تجديد ميثاق العهد مع الإله عثتر وهو المعبود الأعلى لدى كافة شعوب جنوبي الجزيرة وكان يتمثل ذلك في سبأ بأن يتم ذلك في مراسيم خاصة تتمثل في القيام بمواكب دينية تقام في جبل اللوذ في الجوف إلى الشرق من مدينة براقش (يثل القديمة)، وكان يرافق ذلك طقوس خاصة مثل تقديم الأضاحي وعلى ما يبدو طقوس الإستسقاء المترافقة بايقاد نار الإستسقاء وغيرها، ومن أهم أهدافها هي تجديد العهد الإلهي الذي تم مع عثتر والإله المقه. وقد استمرت هذه الطقوس طوال الفترة السبئية القديمة أو المكربيين. ومن الطقوس التي كان يقوم بها المكرب هي طقوس الزواج المقدس (Müller 1993: 15-28)، والوليمة المقدسة للإله عثتر (Ryckmans 1973: 36-39) وطقوس الإستسقاء التي كانت تقام في أماكن مختلفة، ومنها قمم الجبال أو في معابد فوق قمم الجبال أو سفوحها، كما هو الحال في جبل البلق الأوسط والبلق الجنوبي. وتم الكشف عن معابد كانت مكرسة على ما يبدو لهذه الطقوس (von Wissmann 1982: 63ff. , Schmidt 1998: 10-40). كما كان

يقوم المكرب بالصيد المقدس للإله عثتر أو للإله القومي، وأهم المعلومات في هذا الإطار جاءت من سبأ (Beeston 1948: 183-196, Beeston 1991: 49-57). وكان الحاكم بيده قرار السلم والحرب، وبيده المؤسسة الاقتصادية بما فيها التجارة والتعدين ومقالع الحجارة.

وقد كان الحكام من طبقات ارستقراطية تشكلت بفعل سيطرتها على مقدرات البلاد، وبخاصة المؤسسات المائية، وكان منهم في سبأ القبيلة (الشعب) ذو خليل وذو سحر وكبير أقيان وغيرها. ولعل الإشارة التي يوردها الهمداني عن نظام الحكم عند الحميريين في ذكره لما يسمى المثامنة ذات أهمية خاصة في فهم نظام الحكم في سبأ، وهناك روايات مختلفة عن عددهم، ويُذكر أن الحكم لا يستقيم إلاّ بهم، فيه إشارة إلى الطبقة الحاكمة في البلاد وهم: ذو سحر وذو خليل وذو ثعلبان وذو جدن وذو صرواح وذو حزفر وذو مقار. وكل هذه الأسر معروفة جيدا من النقوش (بافقيه ١٩٨٧: ١١٩-١٣٢). ولم يكن الحاكم السبئي حاكما مطلقا بل كان يساعده في الحكم مجلس من شعب سبأ والأقيال وممثلين عن سكان الواحات (انظر مثلا النقش شرف الدين ٧ وهو النقش نفسه المكتشف حديثا في محرم بلقيس تحت رقم MB 2004 I-151).

هناك صعوبة في فهم الرمز أو الشعار الذي كانت تتخذه كل من هذه الممالك، ولكننا يمكن أن نفترض أن الرموز الدينية المختلفة التي تظهر في كافة هذه الممالك إلى جانب النقوش والعملات قد تكون من رموز هذه الممالك. وهنا، تجدر الإشارة إلى أن رمز الدولة السبئية في أيام المكربين كان يتكون من حرفي الذال والخاء كإختصار لذو خليل، ويظهر هذا كثيرا إلى جانب النقوش السبئية من الفترة القديمة، ولاحقا يبدو أن رمز الإله المقة «الصاعقة» وهو رمز الإله المقه بعل أوام قد أصبح رمزا للدولة، ويظهر كثيرا على العملات السبئية. أما حضرموت فكان شعارها على ما يبدو النسر، وأحيانا الثور، والتي تظهر على العملات، ويظهر النسر كرمز للدولة الحميرية إضافة إلى السيف ذي المقبض المعكوف وتوصف بأنها الرمز الملكي.

وكان المكربون يستخدمون ألقابا خاصة بهم وهي: وتر، يفع، ذريح، بين. وكذلك لاحقا الملوك حملوا ألقابا خاصة بهم مثل يحوز، يهحمد، يهرعش. وتجدر الإشارة إلى أن دراسة اللقب الملكي في جنوبي الجزيرة تعطينا معلومات مهمة عن تطور نظام الحكم، ففي الفترة السبئية القديمة كان الحاكم يحمل بالدرجة الأولى لقب مكرب مع وجود لقب ملك للإشارة لحاكم محلي أو حاكم دولة صغيرة أو مدينة، مثل ملك مأرب وملك شعب أرشاو، ولكن اللقب «ملك» أصبح السائد في القرن الثالث ق. م. رغم بدايته قبل هذا التاريخ، ما يدل على تطور في بنية الدولة وبخاصة السبئية. وفي هذه الفترة بدأت تظهر الدولة المركزية أكثر من ذي قبل. وفي فترة القرون الأولى الثلاثة الميلادية ظهر لقب «ملك سبأ وذي ريدان» وريدان إشارة إلى القصر ريدان في العاصمة الحميرية ظفار قرب يريم جنوبي صنعاء، وبدأ يستخدمه كل من ملوك سبأ في مأرب وملوك حمير في ظفار وفي ذلك إلى إشارة الصراع ما بين هاتين الأسرتين الحاكمتين في مأرب للسيطرة على اليمن، وبقي الأمر حتى نهاية القرن الثالث الميلادي (نحو ٢٨٠ م.) عندما استطاع ملوك حمير انتزاع اللقب سلميا وإنهاء حكم ملوك سبأ في مأرب تحت قيادة ياسر يهنعم ملك سبا وذي ريدان وابنه شمر يهرعش، الذي يستطيع بعد ذلك بقليل أن يحمل لقب «ملك سبأ وذي ريدان ويمنت وحضرموت» وفي ذلك إعلان لسيطرة على حضرموت وعلى مناطق النفوذ التي كانت سابقا تابعة لدولة قتبان. ويتوالى تطور الدولة في ظل حمير والتي نشأت في نهاية القرن الثاني قبل الميلاد بالقرب من منطقة يريم، واتخذت لاحقا من ظفار عاصمة لها للتحول إلى إمبراطورية بسيطرتها ليس فقط على كافة أراضي اليمن وتحرير تهامة من الأحباش، بل التوسع باتجاه وسط الجزيرة حيث سيطر ملوك حمير على قطاعات واسعة من وسط الجزيرة وحملو لقب: «ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت وأعرابهم في تهامة وطودم». هذا اللقب الذي حمله أبو كرب أسعد وابنه حسّان (Gajda 2009, Bafaqīh 1990).

وأمّا مسألة تتويج الملوك فكانت تتم في القصر الملكي وليس في المعبد كما هو الحال في بلاد ما بين النهرين، ما يدل على الفصل بين السلطة الدينية والسياسية. ومن رموز الملكية هي القصور الملكية ومنها القصر الملكي شقر في شبوة عاصمة حضرموت والذي يظهر اسمه على العملة

الحضرمية وكذلك القصور الملكية السبئية سلحين والهجر والقشيب في مأرب وغمدان في صنعاء والقصر الملكي القتباني حضور، والذي يظهر أيضا على العملة القتبانية، ثم القصور الملكية الحميرية شوحطان وريدان في ظفار (Müller 1986: 139-157).

ومن مظاهر سيطرة الدولة والاعتراف بسلطانها هو فرض الضرائب، وقد بقيت ضريبة العشر هي الضريبة الأساسية والتي كانت تدفع غالبا للمعابد، واستمرت على ما يبدو طوال فترة الدولة، ولدينا معلومات جيدة عن ذلك من نقوش محرم بلقيس (Sima 1999: 159-166). وفي العصر السبئي القديم يظهر من النقوش أن ضرائب معينة كانت تدفع للدولة والصورة غير واضحة الفترة في السبئية المتوسطة (Korotayev 1996: 76-85).

٣) المؤسسة الدينية

لدينا معلومات جيدة عن طبقات الكهنة وإدارة المعابد والروابط الروحية للمجتمع والشرعية السياسية للحاكم، ويرتبط بالمعابد المؤسسة العلمية وطبقة الكتاب والثقافة الوطنية والدينية. في المرحلة السبئية القديمة ارتبطت اسماء كثير من الكهنة بصلوات الاستسقاء التي كانت تقام في مناطق مكشوفة وكذلك في معابد بنيت على ما يبدو خصيصاً، مثلا في جبل البلق الجنوبي والأوسط (Schmidt 1998: 10-40). ولدينا الكثير من النقوش التي كانت تؤرخ بسني حكم هؤلاء الكهنة «سنة سقى عثر سبأ». وكانت تسيطر على هذه المؤسسة عائلات سبئية مثل قبيلة ذي خليل.

رافقت المؤسسة الدينية نشأة الدولة منذ البداية وقد استطاعت هذه المؤسسة أن تفرض أيدولوجيتها على النظام السياسي في الدول الناشئة في هذه المنطقة، وكان عليها أن تتحمل مسؤلية بناء المعابد وإدارتها وكانت تتداخل في مسؤليتها مع السلطة السياسية حيث كان يقوم الحكام أحيانا ببعض الوظائف الدينية، وتخبرنا النقوش عن عدة وظائف دينية ظهرت في الممالك المختلفة منه «رشو» وهو الكاهن الرئيسي في دولة سبأ وكذلك «قين» وهي وظيفة إدارية على ما يبدو، حيث يبدو أن الـ«قين» كان ممثلا للسطة السياسية في المعابد وبخاصة أن هذه الوظيفة تظهر في الإطار السياسي في إدارة الدولة السبئية، ويضاف إلى ذلك وظيفة «أفكل» وأصل هذا المصطلح من الأكادية وهي على ما يبدو وظيفة إدارية استخدمها العرب في كافة أنحاء الجزيرة (Maraqten 2000b: 263-283). ومن الوظائف الدينية في دولة معين كان «شوع» وكذلك «قظر» في قتبان وغيرها. ويبدو أن المدارس واستخدام الكتابة قد ارتبط بالمعابد.

٤) المؤسسة التشريعية

تتشكل السلطة التشريعة من الإله القومي الذي يصدر التشريعات بوحية للملك أو استجابة لطلبه وطلب الشعب، ويشارك في هذه السلطة الشعب والأقيال ومجالس المدن. والتشريعات وظيفتها الحفاظ على السلم الأهلي في المجتمع، وترتيب العلاقات فيما بين المجتمع والدولة، كالعلاقات الإجتماعية ما بين التكوينات الإجتماعية المختلفة وملكية الأراضي والمعابد وحقوق الفرد والقبائل، وكذلك ترتب العلاقة مع المجتمعات الأخرى.

تعد المؤسسة القانونية أحد سمات المجتمعات المتقدمة في الشرق القديم، وبالرغم من عدم العثور حتى الآن على قوانين بحجم قوانين حمورابي في اليمن القديم، إلا أنه لدينا الآن نحو ٣٠٠ نقش قانوني بالسبئية والقتبانية والمعينية والحضرمية، إضافة إلى نقوش تحتوي على مسائل قانونية (النعيم ٢٠٠٠)، ومن هذه النقوش نحو ٢٠٠ نقشا مدونة باللغة السبئية وبعضها يحتوي على أكثر من ٣٥ سطرا (Müller 1983: 268-82, Grohmann 1963: 132-40). ولا بد هنا من الإشارة إلى النقوش القانونية المكتشفة حديثا في معبد أوام (محرم بلقيس) في مأرب (Maraqten 2006: 53-67) وكذلك النقوش المكتشفة حديثا في صرواح (Nebes 2003: 295-311) ويضاف إلى ذلك عشرات النقوش القانونية المكتوبة بخط الزبور أو المسند على العسيب (Ryckmans et al. 1994). وكما تحتوي هذه النقوش على نصوص قانونية تغطي كافة المسائل القانونية، منها قوانين ملكية، أو قوانين دينية وقوانين الآداب العامة، وزيارة المعابد وترتيب مناسك الحج وفروض دينية معينة منها الطهارة والأسرة والزواج. وهناك قوانين جنائية وتحريم الوأد ونصوص معاهدات وتحالفات، إضافة إلى عقود خاصة ومعاملات يومية وتجارية... الخ. وتجدر الإشارة إلى أنه

لدينا عدة نصوص خاصة لتنظيم مسائل الري وتوزيع المياه (النعيم ٢٠٠٠: ٥١٦-٥٤٩).

يربط الكثير من الباحثين ما بين المؤسسة القانونية وأهميتها في نشأة وتطور وتنظيم الدولة الداخلي (Herzog 1988). ومن الصعب الحديث عن قانون واحد كان يتحكم في الدولة، فكل دولة كان لها قوانينها الخاصة، ويبدو أنه قد كان هناك مزج بين القوانين العامة والخاصة بالشعوب المختلفة وكذلك أن بعض المدن قد كان لها قوانينها الخاصة مثل مأرب وتمنع ومدن الجوف مثل نشّان ومعين. والمؤسسة التشريعية في سبأ كانت تتشكل من الملك وممثلي شعب سبأ وحلفائها والأقيال وممثلي الفئات المختلفة وعلى ما يبدو كهنة المعابد. وتظهر لنا النقوش بأن الكثير من القوانين

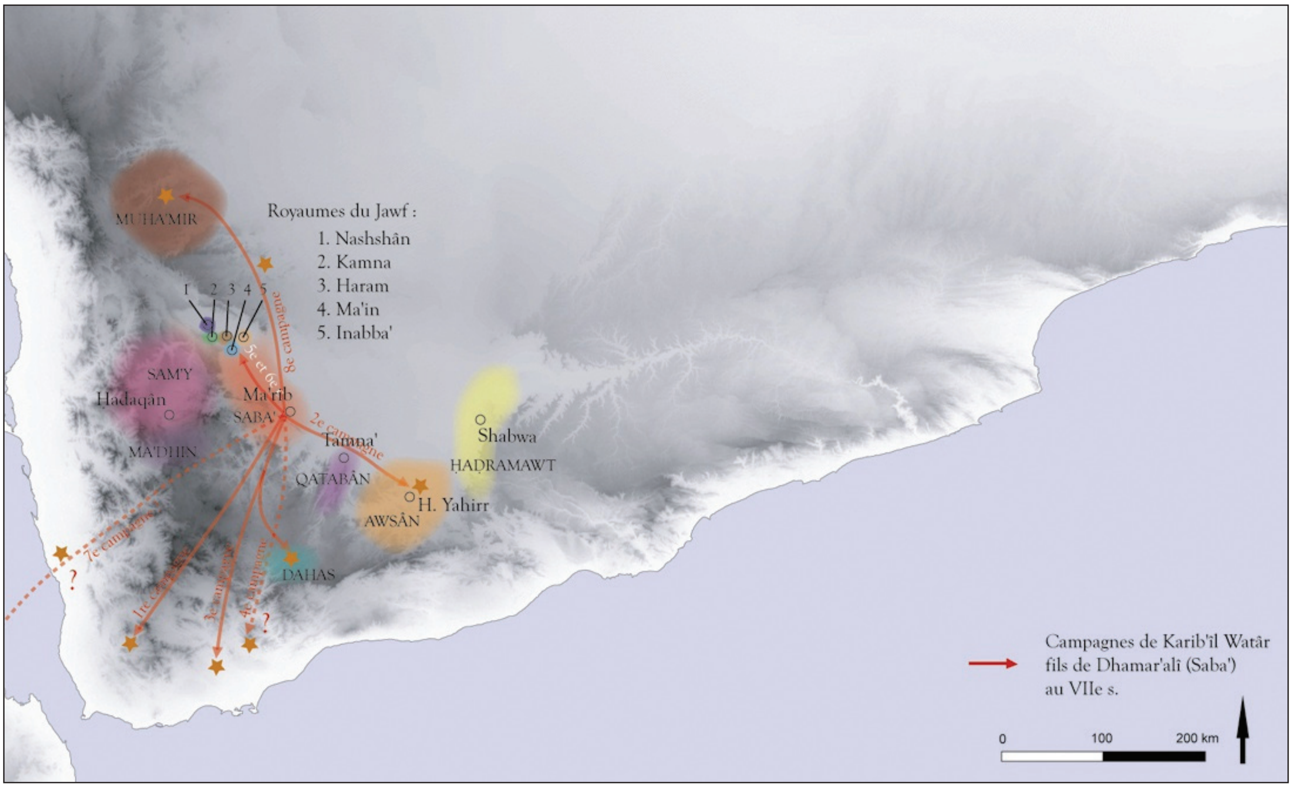
كان الإله المقه المصدر الأساسي للتشريع في سبأ وكانت القوانين تصدر مباشرة بناء على أوامر المقه والتي كانت عادة تُسن بناء على طلب خاص من الإله المقة، فيما يخص مسألة معينة، حيث يستجيب ألمقه عادة عن طريق الوحي للكهنة أو للملك أو حتى زعماء الشعوب. وكان مراكز المؤسسة التشريعية متوزعة في الحواضر السبئية مثل مأرب وصرواح وإن كانت النقوش لا تذكر مكان تواجد المحاكم بشكل صريح إلا أنها تذكر بأن محاكمات قد أجريت في مدينة مأرب دون ذكر التفاصيل، وكذلك في صرواح. وقد كان هناك نظام قانوني سبئي وكان هناك قضاة ومحاكم. ولدينا نقوش من محرم بلقيس تدل على كسب قضايا قانونية في المحاكم. وكان الملك يسهر على رعاية وتطبيق القانون كما جاء ذلك في أحد فقرات نص جديد لقانون جنائي من محرم بلقيس (MB 2002 I-28)، ويشرع هذا القانون دفع غرامات لمن يعتدي على ملكية أهل مارب. وهناك قوانين سبئية جديدة أخرى عثر عليها في معبد أوام، منها قوانين شرعية تتحدث عن آداب زيارة المعبد، ومنها من يتحدث عن مسالة تدنيس حرمة المعبد من قبل أشخاص وقانون آخر يُحرّم دخول الحيوانات إلى حرم المعبد، ومن يخالف ذلك عليه أن يدفع غرامة للملك وقوانين جديدة تتعامل مع مسألة القتل. وكان الملك يحسم في كثير من المسائل القضائية التي لم تحسم محليا (جام ٧١٢). وهناك قوانين لترتيب أمور البيع والشراء (RES 3910). وهناك قانونين إدارية منها قانون يتحدث عن أعمال إدارية في معبد حرونم في مدينة مارب.

والنصوص القانونية تعطينا معلومات جيدة عن الملكية بشكل عام مثل ملكية البيوت والمنشئات المائية والقبور والقصور والمزارع، وكذلك نقل الملكية وغيرها. وفيما يخص ملكية الأرض، فقد كان النمط السائد هو الملكية الخاصة للأفراد أو القبائل وهناك ملكية الحكام وكان لهم الكثير من المزارع في مأرب وكذالك ملكية الجيش الملكي أو الجيش النظامي (أ ر ض/ خ م س ن). وكان يشار إلى ملكية الشعب أو الدولة بمصطلح أرض مثل «أرض/ ح م ي ر». تشير بعض النقوش في الفترة الأولى من تشكيل الدولة السبئية أن الأرض المفتوحة قد كانت تتبع للإله المقه كما يرد في نقش النصر. ويبدو أن هذه الأرض قد كانت تدار من من الحكام السبئيين ومن الكهنة. ولدينا عدة نقوش تشير إلى أوقاف المعابد وخاصة معبد أوام والذي كان يتبعه الكثير من الأراضي في مأرب والتي كانت تؤجر لقبائل معينة مقابل دفع العشر للمعبد. وقد كان الأمر كذلك في منطقة الهضبة اليمنية، حيث تخبرنا النقوش عن الأراضي والمراعي التابعة للإله تألب إله مملكة سمعي شمال صنعاء. وكان هناك أوقاف لآلهة قتبان وكذلك للإله سيان إله حضرموت. ويظهر من خلال النقوش أن منشآت الري والحفاظ عليها كانت من مسئولية الملك. وتعطينا النقوش معلومات وافرة عن ملكية الأراضي، ومنها ملكية الأراضي التابعة للآلهة وأوقاف المعابد، وأرضي ملكية، واراضي تابعة للشعوب والقبائل والعائلات المختلفة ثم أراضي ملك لأشخاص، وتجدر الإشارة إلى نقوش الأوثان وهي حجارة الحدود ما بين الحقول (لوندين 92-77 :1979) وتشبه نقوش الـ «كودورو» في بلاد ما بين النهرين.

تجدر الإشارة إلى النصوص القانونية القتبانية (النعيم ٢٠٠٠: 645-701، Mazzini 2004: 261-298) وكذلك النصوص القانونية المعينية (النعيم ٢٠٠٠: ٧٠٢-٧٢٧) والتي تعطينا معلومات جيدة عن تركيبة الدولة في قتبان ومعين، وكذلك تلقي الضوء على بنية المجتمع في كلا المملكتين.

٥) المؤسسة العسكرية

من أهم وظائف المؤسسة العسكرية أن تحافظ على الأمن العام في الدولة، وتدافع عن حدودها، وتحافظ على مصالحها



الشكل ٨: حدود الدولة السبئية زمن المكرب السبئي كرب إيل وتر الكبير (٦٨٥ ق. م.)، نقلا عن Schiettecatte 2006a: 18

وتخوض الحروب من أجلها، وتحافظ على سلطة الحاكم. ولاكتمال السيطرة السياسية كان لا بد من بلورة قوة تحافظ على مصالح المجتمع، وهنا كان لا بد من تأسيس الجيش، والذي تطور وتبلور أثناء مراحل الصراع ما بين الممالك العربية الجنوبية. ويعد الجيش أحد أهم العناصر الأساسية في تطور الحضارة في العصور القديمة، وقد حاول بعض الباحثين وضع الجيش كأحد أهم ملامح الدولة الأساسية (Mann 1986)، وقد حدد الجيش نهوض وسقوط الإمبراطوريات في الشرق القديم مثل الدولة الأشورية والإمبراطورية المصرية والحثية وكذلك الدولة الحميرية. وتخبرنا النقوش العربية الجنوبية أن الجيش كان من أهم مؤسسات الدولة إن لم يكن أهمها على الاطلاق (العتيبي ٢٠٠٧، السروري ٢٠٠٤، Beeston 1976). وقد لعب الجيش السبئي مثلا الدور الأساسي في تشكيلة الدولة السبئية في زمن المكرب يثع أمر بين بن يكرب ملك (نحو ٧٢٠ ق. م.) كما يظهر ذلك من الحروب التي خاضها هذا المكرب لتوحيد ممالك وشعوب اليمن القديمة مثل قتبان وأوسان... الخ كما جاء في النقش الطويل المكتشف في العام ٢٠٠٥ في صرواح (Nebes 2007). ويستمر هذا الجيش زمن المكرب كرب إيل وتر بن ذمر علي (نحو ٦٨٥ ق. م.) في توحيد أو إعادة توحيد الممالك والشعوب المختلفة تحت سلطة سبأ، كما يرد في النقش المعروف بنقش النصر (الشكل ٨).

وتزودنا النقوش أن كل مملكة من ممالك جنوب، الجزيرة كان لها جيشها الخاص ولعل أقوى هذه الجيوش قد كان الجيش السبئي، ولاحقا الجيش الحميري الذي استطاع أن يسيطر على أجزاء واسعة من أواسط الجزيرة العربية. وتجدر الإشارة إلى أن الجيش السبئي قد مسح من الخريطة السياسية في النصف الثاني من القرن ٨ ق. م. وبداية القرن ٧ ق. م أي في زمن المكرب يثع أمر بن يكرب ملك وزمن المكرب كرب إيل وتر بن ذمر علي، ممالك عربية جنوبية بأكملها، مثل: مملكة نَشَّان في الجوف ومملكة أوسان في وادي مرخة. ولدينا معلومات جيدة عن تشكيلات الجيش وقطاعاته العسكرية كالمشاة وسلاح الفرسان والجمّالة ورماة الرماح وغيرهم، وتخبرنا النقوش عن الجيش السبئي وقياداته وعن التدرج الوظيفي في قطاعات الجيش، إضافة إلى أنواع الأسلحة، وعن التكتيكات والتحالفات العسكرية، وكذلك وصفا للمعارك التي خاضها الجيش ضد ممالك محلية مثل قتبان وحضرموت، أو ضد

الأحباش في تهامة ومنطقة الهضبة اليمنية (Beeston 1976). وتجدر الإشارة إلى أن الجيش كان غالبا يتكون من قطاعين أساسين هما الجيش الملكي أو الجيش النظامي (خ م س/ م ل ك ن)، وقطاع كان يتشكل من الأقيال أو كبار الشعوب، والذي كان يتجمع أثناء الحروب تحت قيادة الملك. ولدينا نقوش تذكر قوائم بما كانت تفرزه القبائل للإلتحاق بالجيش. وكانت هناك إقطات من الأراضي تفرز للجيش (أ ر ض/ خ م س ن). وقد عثر على العديد من النقوش السبئية حديثا وهي قيد النشر تزيد في معلوماتنا عن الجيش والحروب في اليمن القديم. وكان من المهمات الأساسية للجيش في ممالك جنوبي الجزيرة الحفاظ على حدود الدولة وكذلك الحفاظ على الطرق التجارية.

سادسا: إنهيار حضارة الجنوب وأفول الدولة

لقد رافق انهيار الدولة في حضارات الجنوب انهيار أنظمة المشئات المائية القائمة على الوديان التي تصب في رملة السبعتين، وبدأت حضارة الواحات بالتلاشي وبدأت سيطرة عناصر بدوية عليها. وعند الحديث عن سقوط حضارة الجنوب يتبادر للذهن مسألة انهيار سد مأرب، وما حيكت حولة من أساطير، وكأن جميع أنحاء جنوب الجزيرة كانت تعتاش منه، وفي حقيقة الأمر أن سد مأرب والجنتين كانا أمرا محليا خاصا بالسبئيين في مأرب، ولم يكن سدا مركزيا لكافة أنحاء البلاد، ولكن يمكن اعتماده مؤشرا لأهمية السدود في حضارة الواحات. ولعل الأسطورة اليمنية في العصور الإسلامية المبكرة عملت من سد مأرب حدثا مهماً في بداية التاريخ الإسلامي. ويمكن تشبيه أسطورة سد مأرب بأساطير الطوفان العالمية، وخاصة بلاد ما بين النهرين التي تؤرخ لنهاية عصور وبداية عصور أخرى. وتحت مقولة «تفرقت أيدي سبأ» يسرد الإخباريون العرب هجرة كثير من القبائل العربية بعد انهيار سد مأرب وهذا يتفق مع بداية مرحلة جديدة في التاريخ العربي. ولكننا نعرف أن الحياة في واحة مأرب كانت تعتمد ليس فقط على السد بل أيضا على التجارة الدولية. وكانت التجارة الدولية، قد انتقلت إلى الطرق البحرية في القرون الأولى الميلادية وكذلك إلى المناطق الجبلية وأصبحت بيد حمير منذ زمن بعيد، ويبدو أن الحياة في مأرب وابتداء من القرن الرابع الميلادي وبعد انتقال الثقل السياسي إلى حمير والمناطق الجبلية كانت تعتمد بالدرجة الأولى على السد وعلى المردود الإقتصادي للزيارات الدينية للمعابد، كونها مركزا دينيا ومكان الحج الرئيسي، ورافق ذلك إهمال السد من قبل السلطة المركزية الحميرية في ظفار، وهذا ما يمكن رؤيته بالإنهيارات المتكررة للسد في القرون الميلادية في حين لم يسجل هذا في عهد المكربين وملوك سبأ، ما يدل على أن الاهتمام كان قويا بتلك المؤسسة الحيوية. ولعل إهمال المعابد التقليدية وخاصة بعد اتباع السلطة الحاكمة للديانة المسيحية واليهودية قد أدى إلى انهيار السلطة الدينية التقليدية تدريجيا والتي كانت مأرب تتمتع بها لقرون خلت.

ويبدو أن إهمال المنشآت المائية قد ازداد أيام سيطرة الأحباش على اليمن وخاصة سد مأرب ما أدى إلى انهيار السد ثم إصلاحه كما نجد في ذلك في نقوش أبرهه التي تتحدث عن ذلك. وعلينا ألاّ ننسى الأمراض الفتاكة والأوبئة التي كانت تحصد الكثير من حياة الناس كانتشار الطاعون أيام ترميم السد في الملك أبرهه.

وآخر ترميم موثق في النقوش هو من أيام أبرهه سنة ٥٤٢م. ولكن يبدو أن إهمال المنشئات المائية قد ازداد سوءا أيام سيطرة الفرس وسيف بن ذي يزن والذي أدى إلى الإنهيار الكامل للسد، وعلى ما يبدو سدود أخرى في الوديان المجاورة، ما أدى إلى هجرة جماعية باتجاه المناطق الجبلية وباتجاه الشمال، هذه الهجرة يبدو أنها كانت ضخمة على مستوى البلاد بحيث علقت في ذاكرة أهل اليمن لكي تصاغ لاحقا كجزء أساس في التكوين التاريخي العربي.

ويعتقد ولكنسون وجبسون بناء على تحرياتهم الأثرية في الهضبة اليمنية أن سبب انهيار المؤسسات المائية في المناطق الجبلية هي الهجرة الجماعية لليمنيين للإلتحاق بالجيوش الإسلامية الفاتحة (Gibson and Wilkinson 1995: 181)، ويبدو أن في ذلك نوع من المبالغة، لأن انهيار هذه المنشئات يعود لأسباب عدة منها السيطرة الأجنبية، إضافة إلى أن المنشئات المائية في المناطق الجبلية في معظمها لم تكن تابعة للدولة بل هي ملكية فردية أو لأسر محلية أو قبائل معروفة، ويضاف إلى ذلك أن الكثير من هذه المشئات قد

استمرت في العصور الإسلامية.

تبقى مسألة نشأة وانهيار الحضارت في العصور القديمة مسألة قابلة للنقاش وللاجتهاد، ولا يمكن حسمها بشكل كامل.

وهنا، يمكن القول إن هناك عدة عوامل أساسية كان لها دور أساس في أفول حضارة الجنوب، يمكن تلخيصها كما يأتي:

- ضعف السلطة المركزية وما رافقها من ضعف لمؤسسات الدولة ورموزها، والتي بدأت في القرون الأولى الميلادية، وتجلت في الصراع بين الأسر الحاكمة في الهضبة اليمنية، وكان أكثر تجلياتها في الصراع ما بين ما بين دولة حمير والأسرة السبئية التقليدية في مأرب. ويضاف إلى ذلك الصراع العنيف ما بين الممالك نفسها، والذي انتهى بسيطرة حمير على البلاد في نهاية القرن الثالث الميلادي.
- الطبيعة الهشّة لتركيبة الدولة وسرعة انهيار مؤسساتها.
- السيطرة الأجنبية والتي بدأت بمطامع الأحباش في تهامة وسيطرتها على أجزاء منها، ومن ثم التحالفات التي كان يقوم بها الأحباش مع الممالك المختلفة في الحروب ضد بعضها بعضاً ولاحقا احتلال البلاد في ٥٢٥م. وطردهم من البلاد على يد سيف بن ذي يزن بمساعدة الساسانيين، الذين ما لبثوا أن سيطروا على البلاد حتى ٦٢٨م. بدخول اليمن في ظل الإسلام.
- ضياع الوحدة في الكيان الإجتماعي والإقتصادي في البلاد والذي يتمثل بظهور تشكيلة اقتصادية-اجتماعية في القرون الميلادية الأولى تتناسب مع الطبيعة الجغرافية للبلاد، وهونمط خاص من الاقطاع تحت سيطرة الأقوال (رؤساء القبائل) والأذواء، هذا الصراع عاد وانفجر في بداية القرن السادس الميلادي مما سهل سيطرة الأحباش على البلاد.
- اكتشاف اليونان والرومان لسر الرياح الموسمية والطريق البحري إلى الهند، وبالتالي فقدان طريق القوافل عابر الجزيرة لأهميته، شيئا فشيئا، ثم انتقال السيطرة على طرق تجارة القوافل في القرن السادس الميلادي إلى مكة، وسيطرة الأحباش على منافذ البحر الأحمر وخليج عدن، وبالتالي التجارة البحرية ما بين إفريقيا والهند وبلاد المتوسط.
- انهيار نظام المنشآت المائية في واحات أطراف رملة السبعتين، والذي رافقه زحف القبائل البدوية باتجاه المناطق الحضرية.

أ. د. محمد حسين المرقطن، معهد الدراسات الشرقية، جامعة ماينز، ألمانيا.

الهوامش:

(١) انظر مثلا مجموعة الكتولوجات التي نشرت عن معرض الآثار اليمنية في أروبا وأمريكا، روبان/فوغت ١٩٩٩، Gunter 2005 Daum et al. 1999, Seipel 1998، Simpson 2002، ودراسات عامة أخرى فيليبس ٢٠٠٢، de Maigret 2002, Breton 2000,Doe 1983. وعن الدراسات الحديثة، انظر أيضا الببليوغرافيا التي أعدها ولتر مولر Müller 2001.

(٢) الصور والرسومات غير المشار إليها هي من عمل كاتب هذا المقال.

(٣) تجدر الإشارة إلى المدرسة الأنثربولوجية الروسية التي أصدرت مجموعة من الدراسات حول نشأة وتطور الدولة، لعل هذه الدراسات تعتمد كثيرا على الجانب النظري، وتبقى بالنسبة للمؤرخين وعلماء الآثار فرضيات نظرية بحاجة إلى أدلة أثرية أو شواهد كتابية لتثبيتها، انظر مثلا Kradin et al. 2000, Grinin et al. 2004.

(٤) هناك عدة دراسات نقدية بصدد النظريات الغربية المتعصبة لدراسة آثار وتاريخ الشرق القديم، ومنها مجموعة من الدراسات قام بها العالم الإيطالي ماريو ليفراني، انظر مثلا Liverani 2005: 223-243.

(٥) انظر أيضا لوندين ١٩٩٠: ١٣-٢٩.

(٦) تعرضت هذه النظرية للنقد من قبل كثير من العلماء، انظر مثلا تحفظات العالم الأنثربولوجي الأمريكي ماك أدمز الذي يرى أن هذه النظرية تنقصها الدلائل الأثرية، Adams 1965، وقد أثّرت هذه النظرية كثيرا على علماء الاجتماع في دراسة مسألة تطور المجتمعات. وتجدر الإشارة إلى النظرية التي وضعها الباحثون في تاريخ الشرق القديم والخاصة بنموذج «المدينة-المعبد» وخاصة في الحضارة السومرية قد وضعت منذ البداية على أنها مركزية «استبدادية»،

حتى قبل ظهور الإمبراطورية الأكادية، وهذا في مقابل ممالك المدن اليونانية الديموقراطية، هذه الفرضية وجدت تجلياتها في نظرية فيتفوغل التي تُعد استمراراً لنظرية «الدولة الإستبدادية» التي أُطلقت على الدولة العثمانية في مقابل الغرب الديموقراطي؛ وبالتالي، وجدت نظرية فيتفوغل غايتها كونها كانت موجهة ضد النظام الشيوعي السوفيتي في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية، ولكي تتوافق مع الحرب الباردة، ثم استمرت هذه الفرضية لكي تصف الشرق الاستبدادي في مقابل الغرب الديموقراطي، انظر Liverani 2005: 225-227. ولكن رغم هذا النقد يمكن الاستفادة من بعض جوانب هذه النظرية بشكل حذر والتي كانت قد لاقت الكثير من الترحاب في أواسط علماء الأنثروبولوجيا، في محاولة فهم تطور المجتمعات في الواحات المحيطة برملة السبعتين في جنوبي الجزيرة العربية ومحاولة رؤية تأثير مؤسسات الري المتطورة على بنية المجتمع، وهذا لا يعني طبعا الأخذ بهذه النظرية بشكل عام. وهناك اهتمام من بعض الباحثين في السنوات الأخيرة في إدراج هذه النظرية في سياق الحديث عن الري في اليمن القديم، دون التعصب لهذه النظرية، انظر Mouton 2004. Harrower 2009.

(٧) انظر الدراسات التي صدرت حديثا عن التطورات الحضارية والبشرية في الجزيرة العربية Petraglia and Rose 2009 وعن عصور ما قبل التاريخ في الجزيرة العربية بوجه عام انظر الشارخ ٢٠٠٥: ١٠٧–١٢٩.

(٨) هناك الكثير من الدراسات عن التحولات المناخية وأثرها في توفر الظروف الملائمة لحياة الإنسان، انظر إينيزان ١٩٩٩: ٢٢–٢٥.

(٩) غالب ٢٠٠١: ٩–١٥.

(١٠) وكان الكسندر سيدوف وبوركهارت فوغت قد قدما عدة دراسات عن ثقافة صبر، انظر Vogt and Sedov 1998: 261-270.

(١١) عن المشهد الطبيعي في الجزير والشرق القديم بشكل عام انظر Wilkinson 2003.

(١٢) حول بنية مجتمع نجران انظر بيغوليفسكايا ١٩٨٥: ٣٠٦–٣١٠.

(١٣) يمكن مراجعة انتشار المدن وأسماء الأماكن بشكل عام في دراسة عبدالله الشيبة (Al-Sheiba 1987) وكذلك في الخريطة الأثرية التي أعدها كريستيان روبان وأولي برونر (Robin and Bunner 1997).

(١٤) تجدر الإشارة إلى أن الدراسة التي قام بها إبراهيم البريهي (٢٠٠٠) لا يمكن الاعتماد عليها كثيرا وذلك لاعتماد الباحث على المراجع الثانوية بدلا من الاعتماد مباشرة على النقوش.

(١٥) انظر أيضا بافقيه وآخرون ١٩٨٥.

(١٦) انظر مسألة أصول الخط العربي الجنوبي الكنعانية Sass 2005: 97-131.

(١٧) ناقش جوفاني مازيني هذه الفرضية في مقالة له عن بعض المصطلحات العربية الجنوبية والواردة في اللغات السامية الشمالية، انظر Mazzini 2005: 215-238.

(١٨) يمكن وضع الهكسوس الذين سيطروا على مصر وحكموها ضمن تسرب شعوب بلاد الشام باتجاه مصر، وكانت حركة شعوب بلاد الشام إلى مصر معروفة منذ بداية النصف الأول من الألف الثالث قبل الميلاد وازدادت في الألف الثاني، ولعل ما يسمى بالشاسو في المصادر المصرية هم من الأموريين، وهناك ذكر لها في المصادر الكتابية والفنية، انظر ردفورد ٢٠٠٥.

(١٩) انظر أيضا عن حركات البدو في بلاد ما بين النهرين وبلاد الشام جبور ١٩٨٨، Klengel 1971, Knauf 1992: 634-638.

(٢٠) بدأ الباحث الألماني بيتر شتاين باستخدام مصطلح اللهجة الأميرية، نسبة لشعب أمير، ضمن اللغة السبئية، والتي كان يسميها خليل يحي نامي (١٩٨٥: ١٠٦) ومؤلفو المعجم السبئي بلهجة هرم وتحتوي على كثير من الألفاظ والصيغ العربية الشمالية، انظر Stein 2007: 13-47.

(٢١) عن استخدام الموارد المائية في الشرق القديم وتأثيرها على المناخ انظر Issar and Zohar 2007: 239-252.

(٢٢) وقد اهتم أيضا الكثير من الباحثين بدراسة الري في العصور الإسلامية وكذلك الري التقليدي Varisco 1996: 238-257. عن الري في العصور الإسلامية انظر مثلا بيوترفسكي ١٩٨٧، الأكوع ٢٠٠١.

(٢٣) عن أنظمة الري التقليدية انظر Serjeant 1964: 33-76, Serjeant 1988: 145-153, Rodionov 2007: 179-182.

(٢٤) لقد تم تصحيح فهم الكثير من المصطلحات الواردة في هذه الرسالة بناء على الاكتشافات الحديثة.

(٢٥) لم يستخدم هذا الباحث نتائج الدراسات التي قام بها الألمان في مأرب أو الفرنسيون في حضرموت.

(٢٦) لقد أشار وليد التكريتي في دراسة له عن الأفلاج في الامارات العربية العربية إلى عقم هذه النظرية Tikriti 2002: 117-138. انظر أيضا الدراسة التي أعدها عبدالوهاب عسلان (عسلان ٢٠٠٠) عن غيول صنعاء وانظر أيضا دراسة فاريسكو عن السيول والغيول Varisco 1983: 365-383.

(٢٧) انظر بعض هذه النصوص في النعيم ٢٠٠٠.

(٢٨) انظر Clark 1976: 1-15 ,Irvine 1962.

(٢٩) الدراسة الشاملة الوحيدة عن هذه المصطلحات هي رسالة الدكتوراة التي أعدها. انظر أيضا Clark 1976: 1-15، وقد تعرض أليسو أوجوستيني في رسالته للدكتوراة التي عالج فيها المصطلحات المعمارية في النقوش العربية الجنوبية لبعض مصطلحات الري، انظر Agostini 2007.

(٣٠) انظر أيضا، المرقطن ٢٠٠٣: ٣١–٤٠.

(٣١) جمع إسماعيل محمد المتوكل أسماء ١١٦ سدا مع تحديد مكانها من هذه السدود التاريخي، انظر المتوكل ٢٠٠٣: ١٥٧٨–١٥٨٣.

(٣٢) ألنقش شرف الدين ٧ أعيد اكتشافه في حفريات المؤسسة الأمريكية لدراسة الإنسان في معبد أوام ٢٠٠٤، انظر النص وترجمته في المرقطن ٢٠٠٨: ١٣٢–١٣٣.

(٣٣) انظر أيضا عبدالله ١٩٩٠: ٦٩-١٠٢.

(٣٤) الجزء الأكبر من نقوش السد معروفة منذ نهاية القرن التاسع عشر، وقد قام كريستيان روبان بتجميع المعروفة حتى بدايات الثمانينيات من القرن الماضي، انظر Robin 1988: 115-122.

(٣٥) أشكر الدكتور عبدالله باوزير، رئيس الهيئة العامة للآثار والمتاحف، الجمهورية اليمنية والأستاذ عبدالعزيز الجنداري، مدير المتحف الوطني بصنعاء، على تعاونهم والسماح لي بتصوير بعض النقوش في المتحف ومنها هذا النقش.

(٣٦) وتزودنا النقوش بكثير من المعلومات عن مزارع النخيل والعنب، وعن ملكية أصحابها، وتعتبر واحة مأرب من أكثر المناطق التي تمّ دراستها من الباحثين (Hehmeyer 1991, Hehmeyer 1989: 33-44, Brunner and Haefner 1986: 77-86). جمع عبدالله الشيبة أسماء هذه المزارع في سياق دراسته عن أسماء الأماكن في النقوش العربية الجنوبية، انظر، Al-Sheiba 1987 وتجدر الإشارة إلى أن هناك الكثير من أسماء مزارع النخل التي تظهر في النقوش المكتشفة حديثا.

(٣٧) يرد الأسل في نقش اكتشف حديثا في معبد أوام (محرم بلقيس)، سينشر قريبا، وبشأن أسماء الشجر الواردة في النقوش المسندية انظر Sima 2000.

(٣٨) ما عدا بقلة الهرمة أو البقلة الحمقاء التي ترد في نقش غير منشور من معبد أوام، فإن جميع أسماء النباتات الأخرى ترد في النقوش الزبورية بعضها منشور انظر Ryckmans et al. 1994، وبعضها الآخر سينشر قريبا.

(٣٩) أسماء النباتات الطبية ترد في نقوش خشبية مكتوبة بخط الزبور غير منشورة في مجموعات المتحف الوطني بصنعاء، ومجموعة مكتبة الدولة البافارية في ميونخ، ألمانيا وفي مجموعة معهد الدراسات الشرقية في ليدن، هولندا وهي في دور الإعداد للنشر.

(٤٠) يذكر ق ن و في نقش غير منشور في حوزة كاتب البحث.

(٤١) انظر عن النباتات العطرية Müller 1997: 193-210 و Sima 2000: 265-285 وكذلك Maraqten 2012.

(٤٢) انظر عن ذكر الحيوانات في النقوس Sima 2000: 23-179.

(٤٣) كشف عن هذا النقش الطويل في حفريات المعهد الألماني في مدينة صرواح في ديسمبر ٢٠٠٥، وهو أطول نص عربي جنوبي كشف عنه حتى الآن في الحفريات الأثرية، وصاحب النص هو المكرب يثع أمر الذي يذكر في الحوليات الأشورية من زمن الملك الأشوري سرجون الثاني نحو ٧١٥ ق. م. وكتب هذا النص على صفيحة حجرية من البلق تزن ٦،٣ طنا والنص مكتمل ويتكون من سبعة سطور، مكتوبة بطريقة خط المحراث، وطول كل سطر يبلغ سبعة أمتار، وكان هذا النقش قد وضع على منصة مقابل نقش النصر لكرب إيل وتر بن ذمر علي، ولكنه يبدو أنه قد سقط بفعل زلزال، وقد أعيد الآن إلى مكانه الأصلي. لم ينشر النص بشكل كامل حتى الآن ولكن هناك دراسة أولية عنه، انظر Nebes 2007: 25-33.

(٤٤) عن علاقات الجزيرة بمصر انظر السعيد ٢٠٠٣.

(٤٥) انظر عن هذه الحملة الفاشلة Marek 1993: 121-156.

(٤٦) أول من استخدم مصطلح مدن القوافل هو ميشائيل روستفتسيف في كتابه الذي أسماه مدن القوافل، انظر Rostovtzeff 1932.

(٤٧) تجدر الإشارة إلى أن كتاب كونه فيه الكثير من المغالطات فيما يخص موقع مكة، إذ تريد أن تضعها في شمالي الجزيرة وكذلك تقلل من نشأة الإسلام في القرن السابع الميلادي، وتوصف مؤلفة الكتاب بأنها تنتمي لمجموعة المستشرقين التحريفيين.

(٤٨) مسألة دراسة عدد السكان تعدّ من أعقد المسائل في علم الآثار، وكان أولي برونرقد قدّر عدد سكان مأرب والواحة ما بين ٥٠-٧٠ ألفا، انظر عن هذه المسألة الدراسة التي اعدّها توني ويلكنسون، Wilkinson 2009: 51-68.

(٤٩) ناقش ميشل موتون في دراسة له تأثير الري على تشكيلة المجتمع بالاعتماد على الشواهد الأثرية مع إعطاء الإشارة لبعض النقوش، انظر Mouton 2004: 81-104.

(٥٠) انظر أيضا Rhodokanakis 1929: 93-111, Beeston 1971: 26-28, Beeston 1972: 256-268.

(٥١) انظر عن التبعية والشرائح الإجتماعية انظر Preissler 1984: 73-85.

(٥٢) وكرب من أفعال التقريب، ويرد هذا الفعل أيضا في الإثيوبية بمعنى جمّع، وبالتالي فالمكرب يعني المجمع.

(٥٣) في دراسة للاكسندر سيما (Sima 2001: 84-109) عن الصيد في جنوبي الجزيرة يخفف فيها من قيمة الصيد الطقوسي في حضارة الجنوب إلاّ أن الأمر كان مهماً جداً منذ بداية فترة المكربين كما توضح ذلك النقوش المكتشفة حديثا من قبل البعثة الإيطالية وكذلك النقوش التي عثر عليها محمد السلامي، جامعة صنعاء، في منطقة خولان من الفترة السبئية المتأخرة، فهذه الطقوس كان يقوم بها الحاكم خاصة للمعبود عثتر.

(٥٤) تجدر الإشارة إلى الدراسة التي قام بها محمد عبدالله بحري (بحري ٢٠٠٧) لا يمكن الإعتماد عليها لعدم استخدام الباحث لنتائج البحث العلمي ولنتائج الاكتشافات الأثرية الحديثة، وهذا ينطبق أيضا على كتاب ناجي الكثيري (الكثيري ٢٠٠١).

(٥٥) المقصود بـ طودم هو جبال السراة.

(٥٦) تذكر النقوش الكثير من الوظائف الإدارية وخاصة في إطار الدولة السبئية، انظر بعضها في المرقطن ٢٠٠٨: ١٣١-١٣٤، الجرو ٢٠٠٥: ١٧-٣٨.

(٥٧) انظر عن معابد مأرب المرقطن ٢٠٠٨: ١٢٨-١٣١، وعن معبد أوام (محرم بلقيس) انظر Glanzman 2003: 183-198.

(٥٨) تعد النصوص القانونية هي الأصعب فهما ما بين النصوص السبئية، انظر عن النصوص القانونية النعيم ٢٠٠٠، وبالرغم من أهمية هذا العمل العلمي إلاّ أنه لا يمكن الإعتماد على ترجمة بعض النصوص، وقد اختلف علماء الدراسات السبئية في ترجمتها.

(٥٩) قام كاتب هذه السطور بنشر تقرير أولي عن النقوش القانونية التي عثر عليها في معبد أوام وبدراسة هذا النص الذي يشكل قانونا جنائيا سبئيا متكاملا

ويحتوي على عدة فقرات وعقوبات، راجع Maraqten 2006: 53-67.

(٦٠) يمكن الرجوع إلى النعيم ٢٠٠٠ بشأن هذه النصوص.

(٦١) بقي اهتمام الباحثين بعيدا عن مسألة معالجة تطور الحضارات وانهيارها بشكل علمي وجدي حتى ثمانينات القرن الماضي، انظر عن انهيار الحضارات في العصور القديمة Tainter 1988، وعن انهيار الحضارت والدول في الشرق القديم بشكل خاص انظر Yoffee and Cowgill 1991. وتجدر الاشارة إلى كتاب انهيار المجتمعات أو استمراريها والذي يحتوي مسائل نظرية عن هذا الموضوع، ويسوق الكثير من الأمثلة من الأمريكيتين وشرقي اسيا وإفريقيا، ويناقش مسألة قدرة المجتمع على التعامل مع البيئة والتغيرات المناخية وتعامل المجتمع مع مصادرة الطبيعية وتعامل المجتمع مع أعدائه وأصدقائه (Diamond 2005).

المختصرات

جام = النقوش التي نشرت من قبل جام، Jamme 1955, 1962, 1966.

مختصرات النقوش المستخدمة في هذا البحث يمكن مراجعتها في Kitchen 2000.

AAE = Arabian Archaeology and Epigraphy

ABADY = Archäologische Berichte aus dem Yemen: Mainz: Verlag Philipp von Zabern.

CIH = Corpus inscriptionum semiticarum IV. 1889-1932.

DAI = Deutsches Archäologisches Institut

I = Inscription

MB = Maḥram Bilqīs

PSAS = Proceedings of the Seminar for Arabian Studies. London.

RES = Répertoire d’Epigraphie Sémitique, Paris 1914-.

المراجع:

أولاً: المراجع العربية

الأكوع، إسماعيل ٢٠٠١، **سدود اليمن أبرز مظاهر حضارتها القديمة**، صنعاء، مؤسسة الإبداع للثقافة والأدب والفنون.

ابن خلدون، عبدالرحمن، **مقدمة ابن خلدون**. بغداد: دار المثنى.

الإرياني، مطهر ١٩٩٦، **المعجم اليمني في اللغة والتراث، حول مفردات خاصة من اللهجات اليمنية**، دمشق، دار الفكر.

الإرياني، مطهر علي ١٩٩٠، **في تاريخ اليمن نصوص مسندية وتعليقات**، مركز الدراسات والبحوث اليمنية، صنعاء.

إسماعيل، فاروق ٢٠٠٥، «قوافل تجارية سبئية في منطقة الفرات الأوسط»، في: صالح باصرة (محرر)، **صنعاء الحضارة والتاريخ**، المجلد الأول، صنعاء، جامعة صنعاء، ٥٥-٦٧.

الأشبط، علي عبدالرحمن ٢٠٠٤، **الأعراب في تاريخ اليمن**. دراسة من خلال النقوش من القرن الأول ق.م. وحتى القرن ٦م. إصدارات وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء.

الأنصاري، عبدالرحمن ١٩٨٢، **قرية الفاو، صورة من حضارة العرب في المملكة العربية السعودية**، الرياض، جامعة الرياض.

الأنصاري، عبدالرحمن؛ عبدالله، يوسف ٢٠٠٥ (محرران)، **الكتاب المرجع في تاريخ الأمة العربية**، المجلد الأول، الجذور والبدايات، تونس، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.

الأنصاري، عبدالرحمن ٢٠٠٥. «مملكة كندة» و«مملكة ديدان ولحيان»، **الكتاب المرجع في تاريخ الأمة العربية**، ٢٠٠٥، ٥١٣-٥٢٩.

انجلس، فريدرك، **أصل العائلة والملكية الخاصة والدولة**، موسكو، دار التقدم (صدر بالألمانية سنة ١٨٨٤، والترجمة العربية عدة طبعات).

إيدينز، ك. وت. ج. ويلكنسون، ٢٠٠١، «جنوب شبه الجزيرة العربية في العصر الجيولوجي الحديث»، في: **دراسات في الآثار اليمنية**، ١-٩٦.

إينيزان، ماري-لويز ١٩٩٩: «**الإنسان الأول في جزيرة العرب**»، في: روبان/فوغت، ١٩٩٩، ٢٢-٢٥.

بافقيه وآخرون ١٩٨٥، بافقيه، محمد عبدالقادر/ بيستون، ألفريد/ روبن، كريستيان/ الغول، محمود، **مختارات من النقوش اليمنية القديمة**، تونس، المنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة.

بافقيه، محمد ١٩٨٧، في **العربية السعيدة. دراسات تاريخية قصيرة**، الجزء الأول. صنعاء، مركز الدراسات اليمنية.

بافقيه، محمد ١٩٩٣، في **العربية السعيدة. دراسات تاريخية قصيرة**، الجزء الثاني. صنعاء: مركز الدراسات اليمنية.

بحري، محمد عبدالله ٢٠٠٧، **تطور نظم الحكم في الجزيرة العربية منذ بداية العصور التاريخية حتى القرن الثالث (ق. م.)**، أبو ظبي، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث.

البريهي، إبراهيم ٢٠٠٠، **الحرف والصناعات في ضوء نقوش المسند الجنوبي**، الرياض، وكالة الآثار والمتاحف.

بوليت، ريتشارد ٢٠٠٩، **الجمل والعجلة**، ترجمة مروان سعد الدين، أبو ظبي، ثقافة للنشر والتوزيع وهيئة أبو ظبي للثقافة والتراث «كلمة».

بيوتروفسكي، م. ب. ١٩٨٧، **اليمن قبل الإسلام والقرون الأولى للهجرة**، القرن الرابع حتى القرن العاشر الميلادي، تعريب محمد الشعيبي، بيروت، دار العودة.

بيغوليفسكايا، نينا فكتوريا ١٩٨٥، **العرب على حدود بيزنطة وإيران من القرن الرابع إلى القرن السادس الميلادي**، نقله إلى العربية صلاح الدين عثمان هاشم، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

توينبي، أرنولد ١٩٨١، **تاريخ البشرية**، الجزء الأول، ترجمة نقولا زيادة، بيروت، الأهلية للنشر والتوزيع.

جبّور، جبرائيل سليمان ١٩٨٨، **البدو والبادية: صور من حياة البدو في بلاد الشام**، بيروت، دار العلم للملايين.

الجرو، اسمهان ٢٠٠٥، «**الطبقة الحاكمة في سبأ في عهد ملوك سبأ وذي ريدان (القرن الأول وحتى القرن الثالث الميلادي)**»، في: Sholan et al. 2005, 17-38.

دراسات في الآثار اليمنية، المعهد الأمريكي للدراسات اليمنية، سلسلة الدراسات المترجمة، ترجمة ياسين محمود الخالصي، صنعاء. ٢٠٠١.

دياكونوف، إ. م. ١٩٧٦، «ظهور الدولة الإستبدادية في العراق القديم»، في: **العراق القديم. دراسة تحليلية لأحواله الإقتصادية والإجتماعية**، تأليف مجموعة من علماء الآثار السوفيت، بغداد، وزارة الإعلام.

روبان، ك. وفوغت، ب. ١٩٩٩، **اليمن: في بلاد مملكة سبأ**. باريس، معهد العالم العربي.

زارنس، يورس، ٢٠٠١: **أرض اللبان. دراسة ميدانية أثرية في محافظة ظفار بسلطنة عمان**. تحرير وترجمة معاوية إبراهيم وعلي التجاني الماحي، مسقط، منشورات جامعة السلطان قابوس، سلسلة علوم الآثار والتراث الثقافي، المجلد الأول.

السروري، نبيل عبدالوهاب عبدالغني ٢٠٠٤، **الحياة العسكرية في دولة سبأ**. دراسة من خلال نقوش محرم بلقيس، صنعاء، سلسلة إصدارات جامعة صنعاء رقم (٦).

السعيد، سعيد ٢٠٠٣، **العلاقات الحضارية بين الجزيرة العربية ومصر في ضوء النقوش العربية القديمة**، الرياض، مكتبة فهد الوطنية.

الشارخ، عبدالله ٢٠٠٥، «عصور ما قبل التاريخ في الجزيرة العربية»، في: الأنصاري/عبدالله ٢٠٠٥، ١٠٧-١٢٩.

الشيبة، عبدالله ٢٠٠٠، **دراسات في تاريخ اليمن القديم**، تعز، مكتبة الوعي الثوري.

شيفمان، كلاوس ٢٠٠٢، **تاريخ الممالك القديمة في جنوب الجزيرة العربية**، ترجمة فاروق اسماعيل، صنعاء، مركز الدراسات والبحوث اليمني.

ردفورد، دونالد ب. ٢٠٠٥، **مصر وكنعان وإسرائيل في التاريخ القديم**، دمشق، دار الرأي للنشر والتوزيع.

عبدالله، يوسف محمد ١٩٩٠، **أوراق في تاريخ اليمن**، بيروت، دار الفكر المعاصر.

العتيبي، محمد بن سلطان ٢٠٠٧، **التنظيمات والمعارك الحربية في سبأ من خلال النصوص منذ القرن السادس ق. م حتى القرن السادس الميلادي**، الرياض، الهيئة العامة للسياحة والآثار.

عسلان، عبدالوهاب محمد ٢٠٠٠، **غيول صنعاء**، دراسة تاريخية أثرية وثائقية، بيروت، دار الفكر المعاصر.

عربش، منير وأدوان، ريمي ٢٠٠٧، **مجموعة القطع النقشية والأثرية من مواقع الجوف**، الجزء الثاني، المتحف الوطني بصنعاء، صنعاء، منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة، الصندوق الإجتماعي للتنمية.

غالب، عبده عثمان ٢٠٠١، ثقافة مجتمعات العصر البرونزي في اليمن، **المسند: حولية تعنى بشؤون الآثار والتاريخ والترا ث** ١/١: ٩-١٥.

فوغت، ب. وسيدوف، أ. ١٩٩٩: ثقافة صَبر على الشاطىء اليمني، في روبان وفوغت ١٩٩٩، ٤٢-٤٦.

فيليبس، وندل ٢٠٠٢، **مملكة قتبان وسبأ، استكشاف الممالك**

القديمة التي تناهت إليها رحلة الشتاء، ترجمة الفاضل عباس، أبو ظبي، المجمع الثقافي، بيروت، الإنتشار العربي.

الكثيري، ناجي جعفر ناجي ٢٠٠١، **نظام الحكم في اليمن في عصر ما قبل الإسلام**، الشارقة، دار الثقافة العربية، عدن: جامعة عدن.

كُنتسون، هـ. دي ١٩٨٥: «حضارة فترة ما قبل أكسوم»، في: مختار، ج. **تاريخ إفريقيا العام**، المجلد الثاني. حضارات إفريقيا القديمة، اليونسكو، ٣٤٥–٣٦٤.

كفافي، زيدان عبدالكافي ٢٠٠٥، **أصل الحضارات الأولى**. الرياض: دار القوافل للنشر والتوزيع.

كرونه، باتريشيا ٢٠٠٥، **تجارة مكة وظهور الإسلام**، ترجمة آمال محمد الروبي، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة.

لوندين، أ. ج. ١٩٧٩، «العلاقات الزراعية في سبأ»، **دراسات يمنية ٢**، ٧٧–٩٢.

لوندين، أ. ج. ١٩٩٠، «المدينة والدولة في اليمن في الألف الأول ق. م. »، ترجمة عبدالله الشيبة ورضوان السيد، **الإجتهاد** ٧، ١٣–٢٩، بيروت، لبنان.

المعجم السبئي، بيستون، أ. ف. ل. ، مولر، ولتر، الغول، محمود، ريكمانز، جاك، (بالانجليزية، والفرنسية والعربية)، بيروت، مكتبة لبنان، لوفان الجديدة، دار نشريات بيترز، ١٩٨٢.

المتوكل، اسماعيل محمد ٢٠٠٣، «السدود (الأسداد)»، في: **الموسوعة اليمنية**، أربعة أجزاء، الجزء الثالث،: ١٥٧٨–١٥٨٣، صنعاء: مؤسسة العفيف الثقافية.

المرقطن، محمد ٢٠٠٣، «النقوش الخشبية القديمة، مصدر هام لدراسة التاريخ الحضاري لليمن القديم»، **حوليات يمنية**، العدد الثاني، ٣١–٤٠.

المرقطن، محمد ٢٠٠٨، «العاصمة السبئية مارب: دراسة في تاريخها وبنيتها الادارية والاجتماعية في ضوء النقوش السبئية»، في: عبدالرحمن الأنصاري وآخرون (تحرير)، **المدينة في الوطن العربي في ضوء الاكتشافات الآثارية: النشأة والتطور ص ص ١٠٧-١٤٤**، الرياض: مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية.

نامي، خليل يحي ١٩٨٥ : **العرب قبل الإسلام: تاريخهم-لغاتهم-آلهتهم**، القاهرة: دار المعارف.

النعيم، نورة بنت عبدالله بن علي ٢٠٠٠، **التشريعات في جنوب غرب الجزيرة العربية حتى نهاية دولة حمير**، الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية.

هالدر، ألفرد ١٩٩٣، **العموريون، من هم وما هي مواطنهم**، دمشق، الأبجدية للنشر.

الهمداني، أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني، **كتاب الإكليل من أخبار اليمن وأنساب حمير**، الجزء الأول والثاني والثامن والعاشر، حققه وعلق عليه محمد بن علي الأكوع الحوالي، صنعاء، إصدارات وزارة الثقافة ٢٠٠٤.

الهمداني، أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني، **صفة جزيرة العرب**، تحقيق محمد بن علي الأكوع الحوالي، صنعاء مكتبة الإرشاد ١٩٩٠.

وايتام، كيث ١٩٩٩، **اختلاق اسرائيل القديمة**، ترجمة سحر الهنيدي، الكويت عالم المعرفة ٢٤٩.

ويلكنسون، ت. ج. ، إيدينز، :. وغيبسن، م. ٢٠٠١، «آثار المرتفعات اليمنية: تسلسل زمني تمهيدي»، في: **دراسات في الآثار اليمنية**، ٩٧–١٨٥.

ثانياً: المراجع غير العربية

Adams, R. M. 1965. **The evolution of urban society**, Chicago: Aldine.

Agostini, A. 2007. **Le iscrizioni di costruzione sudarabiche Lessico, Archeologia, Società**. Università degli Studi di Firenze Dottorato di Linguistica. Dissertation.

Avanzini, A. 2009. «Origin and classification of the ancient South Arabian languages», **Journal of Semitic Studies** 54: 205-220.

Bafaqīh, M. A. 1990. **L'Unification du Yemen Antique**. Paris: Geuthner.

Bar-Yosef, O. 1998. «The Natufian Culture in the Levant, Threshold to the Origins of Agriculture», **Evolutionary Anthropology** 6/5: 159-177.

Beeston A. F. L. 1948. «The ritual hunt. A study in old

South Arabian religious practice», **Le Museon** 61: 183-196.

Beeston, A. F. L. 1971. «Functional Significance of the Old South Arabian Town», **PSAS 2**: 26-28.

Beeston, A. F:L. 1972. «Kingship in Ancient South Arabia», **Journal of Economic and Social History of the Orient** 15: 256-268.

Beeston, A. F. L. 1976. **Warfare in Ancient South Arabia: Second to Third Centuries AD,** Qaḥṭān: Studies in Old South Arabian Epigraphy, fasc. 3. London: Luzac and Co.

Beeston, A. F. L 1979. «Some Features of social structure in Saba», in: Y. M. Abdullah, et al. (eds.), **Studies in the History of Arabia. Sources for the History of Arabia. Proceedings of the First International Symposium on Studies in the History of Arabia, 23rd. -28th. of April 1977**, University of Riyadh, II, Part 1. Riyadh: University Press, 115-123.

Beeston, A. F. L. 1986. «Free and Unfree: The Sayhadic Case», **PSAS** 16: 1-6.

Beeston, A. F. L 1991: «The Sayhadic hunt at Shi'b al-'Aql», in: **Études sud-arabes: recueil offert à Jacques Ryckmans** (Publications de l'Institut Orientliste de Louvain, 39). Louvain-la-Neuve: Peeters, 49-57.

Bowen R. 1958. «Irrigation in ancient Qatabân (Beiḥân). in: R. Bowen & F. P. Albright, (eds.) , **Archaeological Discoveries in South Arabia,** 43-131, Baltimore: The Johns Hopkins Press.

Breton, J. F. 2000. **Arabia Felix. From the time of the Queen of Sheba eighth century B. C. to first century A. D.** Notre Dame: University of Notre Dame Press.

Breton,J-F.1994.**Lesfortificationsd'ArabieMéridionale du 7e au 1er siècle avant notre ère,** ABADY VIII.

Breuer, S. 1990. Der **archaische Staat. Zur Soziologie charismatischer Herrschaft**, Berlin: Dietrich Reimer Verlag.

Brunner U. , 1983. **Die Erforschung der antiken Oase von Mârib mit Hilfe geomorphologischer Untersuchungsmethoden, ABADY II**.

Brunner, U. 1997a: «Geography and Human Settlements in Ancient Southern Arabia». **AAE 8**: 190-202.

Brunner, U. 1997b: «The History of Irrigation in Wadi Marha», **PSAS 27**: 75-85.

Brunner, U. 2000. «The Great Dam and the Sabean Oasis of Ma'rib», **Irrigation and Drainage Systems** 14/3: 167-182.

Brunner, U. and Haefner, H. 1986. «The successful floodwater farming system of the Sabeans, Yemen Arab Republic». **Applied Geography** 6: 77-86.

Brunner, U. and Haefner, H. 1990. «Altsüdarabische Bewässerungsoasen». **Die Erde** 121: 135-153.

Brunner, U. & Kohler, S. 1997. «Die Bewässerung im Jemen». **Mare Erythraeum** 1: 171-198.

Buccellati, G. 1967, **Cities and Nations of Ancient Syria, Studi Semitici 26, Rome**. University of Rome.

Carniero, R. 1970. "A Theory of the origin of the state", **Science** 169: 733-738.

Claessen H. J. M. and Skalnik, P. , eds. , 1978. **The early state. Hague**, Paris and New York: Mouton Publishers.

Claessen H. J. M. and Skalnik, P. , eds. , 1981. **The study of early state, Hague**, Paris and New York: Mouton Publishers.

Clark, V. A. 1976. "Irrigation terminology in the Sabaean inscriptions", **Abr-Nahrain** 16, 1975-76: 1-15.

Cole K. l. , Walter D. E. , Oches E. A. , McCorriston J. , 2002. "Holocene Paleoecology and Prehistory in Highland Southern Arabia", **Paléorient** 8/1: 61-88.

Coque-Delhuille B. and Gentelle P. 1997. "Crues et sédimentation contrôlée au Yémen Antique/Floods and controlled sedimentation in ancient Yemen", **Géomorphologie: relief, processus, environnement** 3/2: 99-109.

Daum, W. , Müller, W. W. , Nebes, N. and Raunig, W. , eds. 1999. **Im Land der Königin von Saba**. Kunstschätze aus dem antiken Jemen. Munich: IP

Davies, C. P. 2006. "Holocene paleoclimates of southern Arabia from lacustrine deposits of the Dhamar highlands, Yemen", **Quaternary Research** 66/ 3: 454-464.

Diakonoff I. M. 1991a. "The City-States of Sumer", in: **Diakonoff** 1991, 67-83.

Diakonoff I. M. 1991b. "Early Despotisms in Mesopotamia", in: **Diakonoff** 1991, 84-97.

Diakonoff, I. M. , ed. 1991, **Early Antiquity**. Chicago and

London: The University of Chicago Press.

Diamond, J. 2005: **Collapse. How societies choose to fail or succeed**. New York: Penguin.

Doe, B. 1983. **Monuments of South Arabia**. Cambridge: The Oleander Press.

Edens, Chr. "Eexploring early agriculture in the highlands of Yemen", in: Sholan et al. 2005, 185-211.

Eisenstadt, S. N. , Abitbol M. and Chazan N. , eds. 1988, The Early State in African Perspective. Culture, **Power and Division of Labor, Studies in Human Society** Vol. 3. Leiden: Brill.

Endesfelder, E. 1988. "Zur Herausbildung von Klassen und Staat im alten Ägypten", in: Herrmann and Köhn 1988, 372-77.

Fattovitch, R. 1983. "Äthiopien und die südarabischen Reiche", in L. Fasani. **Die illustrierte Weltgeschichte der Archäologie**. München: Südwest Verlag, 349-359.

Fedele, F. G. 1990. "Man, land, climate: Emerging interactions from Holocene of the Yemen Highlands", in: S. Bottema, G. Entjes-Nieborg, and W. van Zeist, eds., **Symposium on the Impact of Ancient Man on the Landscape of the Eastern Mediterranean Region and the Near East 1989**, Groningen. Rotterdam [u. a.]: Balkema, 31-42.

Flannery, K. V. 1972. "The cultural evolution of civilization", **Annual Review of Ecology and Systematic** 3: 399-426.

Franke, K. , Rösch, M. , Ruppert, C. & Yule, P. 2008: "Ẓafār, Capital of Ḥimyar, Sixth Preliminary Report, February-March 2006", **Zeitschrift für Orient-Archäologie** 1: 208-245.

Gajda, I. 2009. **Le royaume de Himyar à l'époque monothéiste: L'histoire de l'Arabie du sud ancienne de la fin du IVe siècle de l'ère chrétienne jusqu'à l'avènement de l'Islam**. Mémoires de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres, tome 40. Paris: AIBL & De Boccard.

Garbini G. 2004. "The Origins of South Arabians", in: A. V. Sedov, (ed.), **Scripta Yemenica. Studies in Honor of M. B. Piotrovkij**, Moscow, 203-9.

Garbini, G. 2006. **Introduzione all'epigrafia semitica. Studi sul vicino oriente antico** 4. Brescia: Paideia.

Garcia, M. -A. and Rachad, M. 1997. **L' art des origines au Yémen**, Arts rupestres, Paris: Seuil.

Gentelle, P. 1991. "Les irrigations antiques à Shabwa", **Syria** 68: 5-52.

Ghaleb, A. O. 1990. **Agricultural Practices in Ancient Radman and Wadi Al-Jubah (Yemen). Dissertation**, University of Pennsylvania.

Gibson, M. and Wilkinson, T. J. 1995. "The Dhamar Plain, Yemen: A preliminary study of the archaeological landscape", **PSAS** 25: 159-183

Glanzman W. D. 2003. "An examination of the building campaign of Yada"il Dharīḥ bin Sumuh'alay, mukarrib of Saba', in light of recent archaeology, **PSAS** 33: 183-198.

Grinin, L. E. , Carneiro, R. L. , Bondarenko D. M. and Korotayev A. V. 2004. **The early state: Its alternatives and analogues**. Volgograd: Uchitel publishing house.

Grohmann, A. 1963. **Arabien, Kulturgeschichte des Alten Orients**. München: Beck Verlag.

Groom, N. J. 1981. **Frankincense and Myrrh: A Study of the Arabian Incense Trade**, London/New York: Longman.

Gunter, A. C. , ed. 2005. **Caravan Kingdoms: Yemen and the Ancient Incense Trade**. Washington, DC: Smithsonian Institution.

Guy H. , Saliège J. F. , Buchet L. , Steimer-Herbet T. , Braemer F. 2001. " Le Bronze ancien du Ramlat as Sabatayn (Yémen): Deux nécropoles de la première moitié du IIIe millénaire à la bordure du désert: Jebel Jidran et Jebel Ruwaiq", **Paléorient** 27/1: 21-44.

Guy H. , Saliège J. F. , Buchet L. , Steimer-Herbet T. , Braemer F. 2001. " Le Bronze ancien du Ramlat as Sabatayn (Yémen): Deux nécropoles de la première moitié du IIIe millénaire à la bordure du désert: Jebel Jidran et Jebel Ruwaiq", **Paléorient** 27/1: 21-44.

Harrower, M. J. 2008. "Hydrology, Ideology, and the Origins of Irrigation in Ancient Southwest Arabia", **Current anthropology** 49/3: 497-510.

Harrower, M. J. 2009. "Is the hydraulic hypothesis dead yet? Irrigation and social change in ancient Yemen, **World Archaeology** 41/1: 58-72.

Hehmeyer, I. 1989. Irrigation Farming in the Ancient Oasis of Marib, **PSAS** 19: 33-44.

Hehmeyer, I. and Schmidt, J. 1991. Antike Technologie - Die sabäische Wasserwirtschaft von Mârib. **ABADY** V Teil 1.

Herberg, W. 1986. “Zweiter vorläufiger Bericht über die Ausgrabung und Forschungen des Deutschen Archäologischen Instituts Ṣan'ā' in Mārib und Umgebeung. IV. A. Baukomlex B in Wadi Ḏana. Vorläufigeer Bericht über die Baugeschichtlichen Untersuchungen”,in: **ABADY** III, 33-47.

Herrmann, J. and Köhn, J. , eds. 1988. **Familie, Staat und Gesellschaftsformation. Grundprobleme vorkapitalistischer Epochen einhundert Jahre nach Friedrich Engels’ Werk.„Der Ursprung der Familie, des Privateigentums und des Staats”**. Berlin: Akademie Verlag.

Herzog, R. (1988). **Staaten der Frühzeit. Ursprünge und Herrschaftsformen**. München: Beck Verlag.

Höfner, M. 1957. “War der Sabäische Mukarrib ein “Priesterfürst”?”, **Wiener Zeitschrift für die Kunde des Morgenlandes (Festschrift H. Junker)** 54: 77-85.

Holladay, J. S, 1995. “The kingdoms of Israel and Judah: Political and economic centralization in the Iron II A-B”, in: Th. E. Levy, (ed.), **The archaeology of society in the Holy Land, 368-398**. New York: Facts on File.

Huehnergard J. 2005. “Features of Central Semitic”, in: A. Gianto, (ed.), **Biblical and Oriental Essays in Memory of William L. Moran, Biblica et Orientalia 48**. Rome: Pontificio Istituto Biblico, 155-203.

Irvine, A. K. 1962. **A Survey of Old South Arabian Lexical Materials connected with Irrigation Techniques**, Dissertation, Oxford.

Issar, A. S. and Zohar, M. 2007. **Climate Change - Environment and History of the Near East**, Berlin Heidelberg: Springer-Verlag.

Isserlin, B. S. J. 1986, “Arabian Place Name Types”, **PSAS 16**: 45-50.

Jamme A. , 1955. “Inscriptions des alentours de Mareb (Yémen) ”, **Cahiers de Byrsa** V: 265-281.

Jamme, A. 1962. **Sabaean Inscriptions from Mahram Bilqis** (Marib). Publications for the American Foundation for the Study of Man III, Baltimore: The Johns Hopkins Press.

Joffe, A. H. 2002. “The Rise of Secondary States in the Iron Age Levant”, **Journal of the Economic and Social History of the Orient** 45: 425-467.

Keall, E. J. 2004. “Possible Connections in Antiquity between the Red Sea Coast of Yemen and the Horn of Africa”, in: P. Lunde and A. Porter, (eds.), **Trade and Travel in the Red Sea Region. Proceedings of the Red Sea Project I held in the British Museum October 2002**. Oxford: Archaeopress, 43-55.

Kitchen, K. 1993. “The Land of Punt”, in Shaw, T. , Sinclair, P. , Andah, B. et al. , **The Archaeology of Africa: Foods, Metals, Towns**, London and New York: Routledge 587-608.

Kitchen, K. A. 2000. **Documentation for Ancient Arabia. Part II, Chronological Framework & Historical Sources, The world of Ancient Arabia Series**. Liverpool: Liverpool University Press.

Klengel, H. 1971. **Zwischen Zelt und Palast. Die Begegnung von Nomaden und Seßhaften im alten Vorderasien**. Leipzig: Koehler and Amelang.

Klengel, H. 1988. “Einige Aspekte der Staatsentstehung im frühen Vorderasien”, in: Herrmann and Köhn 1988, 319-327.

Knauf, A. 1989. “The Migration of the Script, and the Formation of the State in South Arabia”, **PSAS** 19: 79-91.

Knauf E. A. 1988. “The West Arabian place-name province: Its origin and significance”, **PSAS** 18: 39-49.

Knauf, A. 1992. “Bedouin and Bedouin States”, in: D. N. Freedman, ed. , **The Anchor Bible Dictionary**, VI vols. New York: Doubleday, vol. I, 634-638.

Kopp, H. , ed. 2005. Länderkunde Jemen,

Korotayev, V. A. 1996. **Pre-Islamic Yemen. Socio-political Organization of the Sabaean Cultural Area in the 2nd and 3rd Centuries AD**. Wiesbaden: Harrassowitz.

Kradin N. N. , Korotayev A. V. , Bondarenko D. M. , de Munck V. and Wason P. K. , (eds.), **Alternatives of Social Evolution**. Vladivostok: Institute of History, Archaeology and Ethnology.

Kuijt, I. , ed. 2002. **Life in Neolithic Farming Communities: Social Organization, Identity Life in Neolithic Farming Communities Social Organization,**

Identity, and Differentiation, New York [etc.]: Kluwer Academic Publishers.

Lewis, K. 2005: **Space and the Spice of Life: Food, Politics, and Landscape in Ancient Yemen**, (PhD Dissertation). University of Chicago.

Liverani, M. 1992. "Early caravan Trade between South-Arabia and Mesopotamia", in: **Yemen. Studi archeologici storici e filologici sull'Arabia meridionale**, Vol. 1. Rome: Istituto Italiano per il Medio ed Estremo Oriente, 111-115.

Liverani M. 2005. "Imperialism", in: S. Pollock and R. Bernbeck, (eds.), **Archaeologies of the Middle East: Critical Perspectives**. Blackwell studies in global archaeology. Oxford: Blackwell, 223-243.

Lundin 1973. "Le régime citadin de l'Arabie du Sud aux IIe-IIIe siècles de notre ère", **PSAS** 3: 26-28.

Macdonald, M. C. A. 2008. Ancient North Arabian, in: R. D. Woodard, (ed.), **The ancient languages of Syria-Palestine and Arabia**. Cambridge, New York: Cambridge University Press, 179-224.

de Maigret, A. 2002. **Arabia Felix. An Exploration of the Archaeological History of Yemen**, London: Stacey International.

Maisels, Ch. K. 1990, **The Emergence of Civilization. From hunting and gathering to agriculture, cities, and the state in the Near East**. London and New York: Routledge.

Mann, M. 1986. **The Sources of Social Power: A History of Power from the Beginning to A. D. 1760**, Vol. I. Cambridge: Cambridge University Press.

Maraqten, M. 2000a. "Some aspects of the formation of the state in ancient South Arabia", in: Kraden et al. 2000, 196- 211.

Maraqten, M. 2000b. Der Afkal/Apkallu im arabischen Bereich: eine epigraphische Untersuchung, in: J. Marzahn and H. Neuman, **Assyriologica et Semitica: Festschrift für Joachem Oelsner**, Alter Orient und Altes Testament 252. Münster: Ugarit Verlag, 263-283.

Maraqten, M. 2006. "Legal documents recently discovered by the AFSM at Mahram Bilqis, near Marib, Yemen", **PSAS** 36: 53-67.

Maraqten, M. 2012: **Altsüdarabische Inschriften auf Holzstäbchen: Epigraphische und kulturhistorische Untersuchungen**, Beiruter Texte und Studien 103, Beirut (in press).

Marek, Chr. 1993. "Die Expedition des Aelius Gallus nach Arabien im Jahre 25 v. Chr. ", **Chiron** 23: 121-156.

Master, D. M. 2001. "State Formation Theory and the Kingdom of Israel", **Journal of Near Eastern Studies** 60: 117-131.

Mazzini, G. 2004. "Legal inscriptions", in: **A. Avanzini, Corpus of South Arabian inscriptions: I - III: Qatabanic, Marginal Qatabanic, Awsanite inscriptions**. Arabia antica ; 2. Pisa: Edizioni Plus, University of Pisa, 261-298.

Mazzini G. , 2005. "Ancient South Arabian Documentation and the Reconstruction of Semitic", in: P. Fronzaroli, (ed.), **Proceedings of the 10th meeting of Hamito-Semitic (Afroasiatic) Linguistics, Firenze 18-21 April 2001**, Quaderni di semitistica 25. Florence: Dipartimento di Linguistica, 215-38.

Mouton, M. 2004. "Irrigation et formation de la société dans les basses-terres du Yémen: un essai de modèle", **Syria** 81/1: 81-104.

Müller, W. W. and von Wissmann, H. 1976. **Über die von Lavastorm bedrohten Tempel der Stadt Dahmān, des heutigen al-Ḥuqqa, im antiken Gau Ma'ḏan (Jemen)**. Wien: Verlag der österreichischen Akademie der Wissenschaften.

Müller, W. W. 1983. "Altsüdarabische Dokumente", in: O. Kaiser, (ed.), **Texte aus der Umwelt des Alten Testaments Band I. /3. Dokumente zum Rechts- und Wirtschaftsleben**. Gütersloh: Gütersloher Verlagshaus Gerd Mohn, 268-82.

Müller, W. W. 1986. "Ancient Castles mentioned in the eighth volume of al-Hamdānī's Iklīl and evidence of them in pre-Islamic inscriptions", in: Y. Abdallah (ed.), **Al-Hamdānī, a great Yemeni Scholar. Studies on the occasion of his Millennial Anniversary**. Beirut: Publication of Sanaa University, 139-157.

Müller, W. W. 1993. "Heilige Hochzeit im antiken Südarabien", in: A. Gingrich, S. Haas, G. Paleczek and Th. Fillitz, Editorial Coordination J. Heiss. **Studies in Oriental Culture and History. Festschrift for Walter Dostal**. Frankfurt a. M.: Peter Lang, 15-28.

Müller, W. W. 1997. "Namen von Aromata im antiken

Südarabien", in: A. Avanzini (ed.) 1997: **Profumi d'Arabia. Atti del convegno**, Saggi di storia antica 11, « L'Erma » di Bretschneider, Rome, 193-210.

Müller, W. W. 2001: **Südarabien im Altertum. Kommentierte Bibliographie der Jahre 1973 bis 1996,** Epigraphische Forschungen auf der arabischen Halbinsel, Band 2, Rahden: Verlag M. Leidorf.

Munro-Hay, S. 2003. **Coinage of Arabia felix: the pre-Islamic coinage of the Yemen**. Mare Erythraeum 6. Milano: Edizioni Ennerre.

Nebes, N. 2001. "Zur Genese der altsüdarabischen Kultur. Eine Arbeitshypothese", in: R. Eichmann and H. Parzinger, (eds.), **Migration und Kulturaltransfer. Der Wandel vorder- und zentralasiatischer Kulturen im Umbruch vom 2. zum 1. Vorchristlichen Jahrtausend. Akten des Internationalen Kolloquiums**. Berlin 23. bis 26. November 1999. Bonn: Rudolf Habelt, 427-435.

Nebes, N. 2003. "Sabäische Texte", in: B. Janowski/G. Wilhelm, (eds.), **Texte aus der Umwelt des Alten Testaments. Neue Folge, Band 1, Texte zum Rechts- und Wissenschaftsleben**. Gütersloh: Gütersloher Verlagshaus, 295-311.

Nebes, N. 2004. "A New 'Abraha Inscription from the Great Dam of Marib", **PSAS** 34: 221-230.

Nebes, N. 2007. "Ita'amar der Sabäer: Zur Datierung der Monumentalinschrift des Yita''amar Watar aus Ṣirwāḥ", **AAE** 18: 25-33.

Nebes, N. and Stein, P. 2008. "Ancient South Arabian, in: R. D. Woodard, (eds.), **The ancient languages of Syria-Palestine and Arabia**, 145-178. Cambridge, New York: Cambridge University Press.

Newton, L. S. and Zarins, J. 2000. "Aspects of Bronze Age art of southern Arabia: The pictorial landscape and its relation to economic and socio-political status", **AAE** 11: 154-179.

Potts, D. 1999: Trans-Arabian routes of the pre-Islamic period, in: F. E. Peters, (eds.), **The Arabs and Arabia on the Eve of Islam. The Formation of the Classical Islamic** World 3, Ashgate: University of Michigan, 45-80.

Petraglia, M. D. and Rose, J. 2009. **The Evolution of Human Populations in Arabia: Paleoenvironments, Prehistory and Genetics, Vertebrate paleobiology and paleoanthropology**. Heidelberg [et al.]: Springer

Phillipson, D. W. 1998. **Ancient Ethiopia. Aksum: Its antecedents and successors**. London: British Museum Press.

Rhodokanakis, N. 1929. "Zum Siedlungswesen im alten Südarabien", **Wörter und Sachen** 12: 93-111.

Robin, Chr.. 1987. "Trois inscriptions sabéennes découvertes près de Baraqish (République Arabe du Yemen)", **PSAS** 17: 165-177.

Robin, Chr. 1988. "Le texte de fondation, en langue sabéenne, de la nouvelle digue de Ma'rib, inaugurée en 1986", **PSAS** 18: 115-122.

Robin, Chr. 1995. "Des villes dans le Jawf du Yémen", **Semitica. La ville, d'après les sources épigraphiques et littéraires ouest-sémitiques de 1200 avant J. -C. à l'Hégire** 43-44: 141-161.

Robin, Chr. J. 2001. "Les inscriptions de l'Arabie antique et les études árabes", **Arabica** 48: 509-577.

Robin, Chr. J. and Brunner, U. 1997. **Map of Ancient Yémen**, München: Staatliches Museum für Völkerkunde.

Rodionov, M. A. 2007. **The Western Hadramawt: Ethnographic Field Research, 1983-91**. Orientwissenschaftliche Hefte 24, Halle: Zentrum für Interdisziplinäre Regionalstudien der Martin-Luther-Universität Halle-Wittenberg.

Preissler, H. 1984. "Abhängigkeitsverhältnisse in Südarabien in mittelsabäischer Zeit (1. Jh. v. u. Z. bis 4. Jh. n. u. Z.) ", **Ethnographisch-Archäologische Zeitschrift** 25: 73-85.

Rostovtzeff, M. 1932. **Caravan cities**. Oxford: Clarendon Press.

Ryckmans, J. 1951. **L'Institution monarchique en Arabie Méridionale avant l'Islam (Ma'īn et Saba')**. Louvain: Peeters.

Ryckmans, J. 1971, "Some recent views on the Public Institutions of Saba (Ancient South Arabia) ", **PSAS** 1: 24-26.

Ryckmans J. 1973. "Ritual meals in the Ancient South Arabian religion", **PSAS** 3: 36-39

Ryckmans, J. 2001. "Origin and evolution of South Arabian minuscule writing on wood", AAE 12/2: 223-235.

Ryckmans, J. and Müller, W. W. and Abdallah, Y. 1994. **Textes du Yémen Antique: (französisch und arabisch)**. Louvain-la-Neuve: Peeters.

Schaloske M. 1995. **Untersuchungen der Sabäischen Bewässerungsanlagen in Mârib**. ABADY 7.

Sass, B., 2005. **The Alphabet at the Turn of the Millenium. The West Semitic Alphabet ca. 1150-850 BCE. The Antiquitiy of the Arabian, Greek and Phrygian Alphabets, Tel Aviv**.

Schiettecatte, J. 2006a. **Villes et urbanisation de l'Arabie du Sud à l'époque préislamique: Formation, fonctions et territorialités urbaines dans la dynamique de peuplement régionale**, (unpublished dissertation). Unversité Paris 1-Panthéon-Sorbonne. Paris.

Schiettecatte, J. 2006b. "Urbanization and settlement pattern in the ancient Hadramawt (1st Mill. BC) ", **Bulletin of archaeology**, the University of Kanazawa 28: 11-28.

Schmidt, J. 1998. "Tempel und Heiligtümer in Südarabien. Zu den materiellen und formalen Strukturen der Sakralkunst", **Nürnberger Blätter zur Archäologie** 14, 1997/1998: 10-40.

Schmidt, J. 1982. "Baugeschichtliche Untersuchungen an den Bauanlagen des großen Dammes von Mārib", in: **ABADY** I, 9-20.

Sedov, A. 1996. "On the Origin of the agricultural settlements in Hadramawt", in: Chr. J. Robin and I. Gajda, (eds.), **Arabia Antiqua, Early Origins of South Arabian States, Proceedings of the First International Conference on the Conservation and Exploitation of the Archaeological Heritage of the Arabian Peninsula Held in the Palazzo Brancaccio, Rome, IsMEO on 28-30th May 1991**, Serie Orientale Roma LXX, 1. Rome; IsMEO, 67-86.

Al-Sheiba, A. 1987. Die Ortsnamen in den altsüdarabischen Inschriften. In, J. Schmidt. **Archäologische Berichte aus dem Yemen IV**. Mainz: 1-62.

Al-Selwi, I. 1987. **Jemenitische Wörter in den Werken von al-Hamdānī und Našwān und ihre Parallelen in den semitischen Sprachen**, Marburger Studien zur Afrika - und Asienkunde, Serie B, Bd. 10, Berlin: Verlag von Dietrich Reimer.

Seipel, W. ed. , 1998. **Jemen: Kunst und Archäologie im Land der Königin von Saba**'. Vienna: KHM.

Serjeant, R. B. 1964. "Some Irrigation Systems in Ḥaḍramawt", **Bulletin of the School of Oriental and African Studies** 27: 33-76.

Serjeant, R. B. 1988. "Observations on irrigation in South West Arabia", **PSAS** 18: 145-153.

Sellnow, I. 1988, "Neuere ethnologische Theorien zur Staatsentstehung", in: Herrmann/Köhn 1988, 94-103.

Service, E. R. 1975. **Origins of the State and Civilization. The Process of Cultural Evolution**. New York: Norton.

Silver, M. 1985. **Economic Structures of the Ancient Near East.** London and Sydney: Croom Helm.

Sima A. 1999. Notes on ʻshr in Sabaean inscriptions, **PSAS** 29: 159-166.

Sima, A. 2000. **Tiere, Pflanzen, Steine und Metalle in den altsüdarabischen Inschriften: Eine lexikalische und realienkundliche Untersuchung**. Veröffentlichungen der Orientalischen Kommission der Akademie der Wissenschaften und Literatur Mainz 46. Wiesbaden: Harrassowitz.

Sima, A. 2001. Die Jagd im antiken Südarabien, **Welt des Orient** 31, 2000/2001: 84-109.

Simon, R. 1989. **Meccan trade and Islam. Problems of origin and structure**. Bibliotheca orientalis Hungarica 32. Budapest: Akadémiai Kiadó.

Simpson, St J. , ed. 2002. **Queen of Sheba. Treasures from Ancient Yemen**. London: The British Museum Press.

Sholan, A. M. , Antonini, S. and Arbach, M. , eds. , 2005. **Sabaean Studies. Archaeological, epigraphical and historical studies in honour of Yusuf M. ʻAbdallah, Alessandro de Maigret, Christian Robin on the occasion of their sixtieth birthdays**. Naples-Sanaa: University of Sanaa, Yemeni-Italian centre for Archaerological Researches, Ṣan'ā'.

Smith, M. E. 2004. "The Archaeology of Ancient State Economies", **Annual Review of Anthropology** 33: 73-102.

Stein, P. 2007. "Materialien zur sabäischen Dialektologie: Das Problem des amiritischen („haramischen") Dialektes", **Zeitschrift der Deutschen Morgenländischen Gesellschaft** 157: 13-47.

Stein, G. and Rothman, M. S. (eds.), 1994. **Chiefdoms**

and Early States in the Near East. The Organizational dynamics of complexity. Monographs in World Archaeology 18. Madison/Wisconsin: Prehistory Press.

Streck, M. P. 2000. **Das amurritische Onomastikon der altbabylonischen Zeit**, Alter Orient und Altes Testament 271. Münster: Ugarit-Verlag.

Al-Tikriti, W. Y. 2002. “The south-east Arabian origin of the falaj system”, **PSAS** 32, 117-138.

Varisco, D. M. 1983. “Sayl and Ghayl: The Ecology of Water Allocation in Yemen”, **Human Ecology** 11/ 4: 365-383.

Varisco, D. M. 1996. "Water Sources and Traditional Irrigation in Yemen", **New Arabian Studies** 3: 238-257

Vogt, B. 2005. “The Great Dam, Eduard Glaser, and the chronology of ancient irrigation in Ma'rib”, in: Sholan et al. 2005, 501-520.

Vogt, B. and Sedov, A. V. 1998. “The Sabir Culture and Coastal Yemen during the Second Millennium BC — The Present State of Discussion”, **PSAS** 28: 261-270.

Vogt, B. , Buffa, V. and Brunner, U. 2002. **Ma'layba and the Bronze Age Irrigation in Coastal Yemen**. ABADY IV, 174-186.

Voigt R. M. 1987. “The Classification of Central Semitic”, **Journal of Semitic Studies** 32: 1-21.

Tainter, J. A. 1988. **The Collapse of Complex Societies. New studies in archeology**. Cambridge: Cambridge University Press.

Weiss, C. and Brunner, U. 2008. "Environmental reconstruction of a Holocene lake in an arid intra mountainous basin by diatoms (Sirwah/Northern Yemen) ", (EMMM) abstract, "**Environmental Micropaleontology", Microbiology and Meiobenthology** 5: 262-264.

Wilkinson T. J. 1997. “Holocene environments of the high plateau, Yemen. Recent geoarchaeological investigations”, **Geoarchaeology** 12/8: 833 - 864.

Wilkinson T. J. 2003. **Archaeological Landscapes of the Near East**. Tucson: University of Arizona Press.

Wilkinson T. J. 2005. “The Other Side of Sheba: Early Towns in the Highlands of Yemen”. **Bibliotheca Orientalis** 62: 5-14

Wilkinson. T. J. 2006. From Highland to Desert: The Organization of Landscape and Irrigation in Southern Arabia, In: Marcus, J. and Stanish, C., (eds.), **Agricultural Strategies**. Los Angeles: Cotsen Insitute of Archaeology, University of California, 38-70.

Wilkinson, T. J. 2009. Environment and Long-Term Population Trends in Southwest Arabia, in: Petraglia. and Rose 2009, 51-68.

Wilkinson T. J. , C. Edens and M. Gibson 1997. “The Archaeology of the Yemen High Plains: a Preliminary Chronology”. **AAE** 8, 99-142.

von Wissmann, H. 1964. **Zur Geschichte und Landeskunde von Alt-Südarabien**. Österreichische Akademie der Wissenschaften, Philosophisch-Historische Klasse 246. Wien: Verlag der österreichischen Akademie der Wissenschaften.

von Wissmann, H. 1982. **Die Geschichte von Sab' II. Das Grossreich der Sabäer bis zu seinem Ende im frühen 4. Jh. v. Chr.** , ed. by W. W. Müller. Österreichische Akademie der Wissenschaften, Philosophisch-Historische Klasse 402. Wien: Verlag der österreichischen Akademie der Wissenschaften.

Wittfogel, K. A. 1957. **Oriental Despotism: A Comparative Study of Total Power**. New Haven, CT: Yale University Press.

Yoffee, N. 1995. “Political Economy in Early Mesopotamian States”, **Annual Review of Anthropology** 24: 281-311.

Yoffee, N. 2005. **Myths of the archaic state: evolution of the earliest cities, states and Civilization**. Cambridge: Cambridge University Press, 2005.

Yoffee, N. and Cowgill, G. L. , eds. 1991. **The Collapse of Ancient States and Civilizations**. Tucson: The University of Arizona Press.

Yule, P. 2007. **Himyar-Die Spätantike im Jemen/ Himyar Late Antique Yemen**. Aichwald: Linden.